الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف– المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الثورة المهدية ببلاد السودان دراسة في الأسباب و النتائج (1881-1890م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

من إعداد الطالب:
– سليمان دري

تحت اشراف الأستاذ:
– د. يمينة بن رحال

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أحمد مسعود سيد علي	أستاذ محاضر	مسيلة	رئيسا
2	يمينة بن رحال	أستاذ محاضر	مسيلة	مشرفا
3	محمد حسين الشريف	أستاذ محاضر	مسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2023- 2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله ﷻ:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[المجادلة، الآية 11]

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، نحمده كما ينبغي لجلال

وجهه وعظيم سلطانه، نحمده حتى يرضى ونحمده إذا رضي ونحمده بعد الرضا

على توفيقه لي إنجاز هذا العمل.

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بأرقى آيات الاحترام والتقدير وأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة الفاضلة "**د. بن رحال يمينة** "التي لم تبخل علينا بتقديم النصح والتوجيه والدعم والتشجيع ، الذي دفع بي قدر ما لاستكمال مراحل العمل متمني من الله عز وجل أن يوفقها في كل مجالات حياتها إن شاء الله .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل **د . محمد حسين الشريف** الذي كان له الفضل الكبير في اختيار لي هذا الموضوع الرائع والثري .

كما أتقدم أيضا بكل عبارات الثناء والشكر الجزيل إلى العائلة الكريمة وكل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد .

قائمة المختصرات

تق : تقديم

تح : تحقيق

تر : ترجمة

ص : صفحة

ط : طبعة

م : ميلادي

هـ : هجري

مج : مجلد

مر : مراجعة

د ت : دون تاريخ

د ط : دون طبعة

ج : جزء

ع : العدد

مقدمة

تعريف بالموضوع :

شهد العالم الاسلامي خلال القرن 19 م أوضاعا غير مستقرة تمثلت في الدول الاستعمارية المتربصة بالمنطقة، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعاني الضعف والانحلال ، وتفقد الكثير من أراضيها فظلت هذه تتحايل الفرص من حين إلى أخر ولفتت أنظارها على السودان الغربي بحكم موقعه الجيو استراتيجي و حضارته العريقة كالحضارة الفرعونية وغيرها، ونظرا للبلاد الواقعة جنوب وادي النيل التي تربطها علاقة وطيدة مع مصر ، فقد خضعت لسيطرتها منذ سنة 1821م ، خاصة بعد أن تولى محمد علي باشا السلطة المصرية عام 1805م وقيامه بالأعمال التوسعية على حساب الاراضي السودانية1820 م، وتوافق الرضى مع الرغبة الشعب السوداني والتي أصبحت تعرف حينها بالسودان المصري .

ونتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة التي خلفتها سياسة الحكام المصريين عرفت السودان دخول حركات ذات أصول دينية ساعده انتشارها هذه المساوئ والسخط العام ، مما افضت إلى القيام بثورة لم يشهدها مثيل من قبل في تاريخ السودان بزعامة " محمد أحمد المهدي " سنة 1881م والتي امتدت حتى 1890م ، وهي أولى حركات التحرر الوطني ضد المستعمر في العالم الثالث والذي هو موضوع بحثنا ومن هنا جاء عنوان هذا البحث .

أهمية و دوافع اختيار الموضوع:

يعد موضوع دراستنا من أهم مواضيع تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ويمكن حصر أهميته في النقاط التالية :

1-الرغبة في الوقف عند تاريخ شعوب إفريقيا والرد على من قال ليس لإفريقيا تاريخ.

2-معرفة حال بلاد السودان خلال فترة حكم محمد علي باشا وأسرته .

3-تسليط الضوء على ظروف ودوافع قيام ثورة 1881م وتداعياتها .

وقد تولد مجموعة من الاسباب منها ماهي ذاتية ومنها ما هو موضوعية جعلتني اختار هذا الموضوع واسلط الضوء ومن اهمها :

الاسباب الذاتية :

1- الرغبة في انجاز عمل أكاديمي حول شخصية محمد أحمد المهدي .

2-التعرف على الزعيم محمد المهدي وأهم العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته .

3- تميزت هذه الثورة بخصوصية فريدة من نوعها جعلتها في مصاف الثورات الكبرى ومعرفة خصائص الثورة التي جعلتها مميزة.

4-اكتساب مزيد من المعلومات حول هذه الحركة .

5-الرغبة في معرفة الظروف والاسباب التي ظهرت فيها الحركة المهدية

الأسباب الموضوعية :

1-قلة الدراسات الاكاديمية الجزائرية التي تتناول هذه لموضوع على مستوى مكتبة الكلية .

2-التعمق في الحقائق التاريخية التي كانت وراء اندلاع الثورة

إشكالية الدراسة :

لدراسة هذا الموضوع انطلقت من الإشكالية التالية :

كيف ساهمت الثورة المهدية في تحرير الشعب السوداني من السيطرة المصرية ؟

ولتغطية جميع جوانب هذا الموضوع نطرح التساؤلات التالية:

- ماهي أسباب اندلاع الثورة المهدية ؟ وماهي مراحلها ونتائجها ؟

-كيف كانت الاوضاع العامة لبلاد السودان قبيل 1881م وماهي الظروف التي أدت إلى بروز محمد أحمد المهدي ؟

-كيف تحولت إلى ثورة ضد الحكم المصري ؟

-بماذا تميزت كل مرحلة من المراحل التي مرت بها ؟

-ما مصير الثورة المهدية ؟

شرح الخطة :

وللإجابة على التساؤلات والاحاطة بها من مختلف الجوانب فقد عالجنا هذا الموضوع وفق خطة تتألف من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة ، تضمنت مجموعة من الاستنتاجات مع تزويد البحث بجملة من الملاحق متعلقة بموضوع الدراسة .

المدخل : كان تحت عنوان لمحة تاريخية عن بلاد السودان الذي اعتبرناه أرضية الموضوع الذي تنطلق منه إلى مسرح الأحداث ، حيث تناولنا فيه أولا التعريف بمنطقة

السودان ثم تناولنا معنى مصطلح السودان وكيف أطلق المؤرخون اسم بلاد السودان على تلك الاراضي الواقعة جنوب مصر ، لنعرج إلى الموقع الجغرافي بذكر المساحة وحدوده ، وكذا لمحة عن الأوضاع العامة خلال فترة الحكم المصري الذي يبدأ في حدود سنة 1821م وهو تاريخ حملة محمد علي باشا على السودان ، ليكون نهاية المدخل عند حدود سنة 1881م ، وهو تاريخ ظهور شخصية محمد أحمد ، لنتساءل في الأخير ماذا تكون هذه الشخصية البارزة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر .

الفصل الأول: فقد عالجنا فيه التعريف بشخصية محمد أحمد المهدي والتي نبدأها بذكر التنشئة البيئية التي نشأ فيها ثم نتطرق غلى التنشئة الاجتماعية والتعليمة وكذا ثقافته الدينية لنتحدث في الأخير عن اتجاهات ثقافته .

وبعدها نعالج الدعوة المهدية وتأثيراتها على شخصية محمد أحمد بالتحدث عن مشايخه في التصوف ، وكيف دخل إلى الطريقة السيمانية ليصبح فيما بعد أحد زعمائها ثم تطرق بالحديث عن فكرة المهدية من ناحية التنشئة والتاريخ ومنها كانت بداية عهد جديد لمحمد أحمد وتحوله من الصوفية إلى المهدية ، والتي اخذت في بادئ الأمر السرية ليخرج بها بعد فترة وجيزة إلى العلن ليكون بداية انطلاق الثورة المهدية .

أما الفصل الثاني : فأدرجناه تحت عنوان الثورة المهدية بزعامة محمد أحمد المهدي (1881-1885م)، حددتها بفترة 1881م ، لكونها منطلق الحركة المهدية ، وكان تحديد فترة 1885م اعتبارا لوفاء قائدها .

نبدأ بذكر الثورة المهدية والتي مهدت لها ظروف وعوامل كانت بمثابة الشرارة الأولى لاندلاعها ثم تندرج إلى وقائع الثورة التي كان لها عدة أحداث ، كما كان لكل واقعة لها نتائجها ، ثم نتطرق إلى العوامل التي تمثلت في سر نجاحها لتنتهي هذه الفترة بوفاة حامل لواءها وزعيمها المهدي ، لتكون نهاية المرحلة الأولى من الثورة المهدية ، لنتساءل في الأخير من سيقود الثورة بعد وفاة هذا الأخير وهل سيتمكن من مواصلة ما بدأه المهدي وتحقيق المزيد من الانتصارات .

جاء البحث الثاني تحت عنوان امتداد الثورة المهدية في مرحلتها الثانية من 1885م إلى 1890 م حدود دراستنا.

ونستلهم بذكر حياة عبد الله الذي تولى خلافة المهدي فنذكر التنشئة الاجتماعية ، ثم نتحدث عن مكانته في الدولة المهدية ثم نذكر مبايعته وتوليه الحكم ، ليصبح المكانة الأولى في الدولة المهدية ، وبعدها نتطرق إلى حروب الخليفة الداخلية والخارجية ، حيث تجسدت الحروب الداخلية في معارضة الأشراف لحكمه ورغيتهم في بقاء الحكم في عائلة المهدي ، إضافة إلى الحروب الدينية والقبلية والإقليمية التي عملت على الانفصال عن الدولة المهدية بعد وفاة المهدي .

أما الحروب الخارجية فشملت حروب مع كل من حبشة ومصر .

وقد أنهيت البحث بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة وخلاصة لأهم النتائج التي تم نوصل إليها من خلال البحث في هذا الموضوع، وكذلك حاولت إثراء الموضوع بمجموعة من الملاحق المتمثلة في الصور .

وفي الختام قمت بذكر قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث .

المنهج المتبع :

للإلمام بأطراف الموضوع والاجابة عن التساؤلات المفروضة اعتمدت على عدة مناهج أهمها :

المنهج التاريخي الوصفي : في رصد الاحداث التاريخية وترتيبها كرونولوجيا ، ولأنه يقوم بوصف الأحداث الهامة حسب تسلسلها الزماني والمكاني .

المنهج التحليلي : استخدمته في تحليل الوقائع ودراسة المادة العلمية وتحليلها للوصول إلى معرفة الاوضاع أثناء حكم محمد علي باشا للسودان

المنهج المقارن : استخدمته في المقارنة بين الشخصيات والثورة بمراحلها .

ويمكن القول أن طبيعة موضوع الدراسة تتطلب منا الوصف والتاريخ والتحليل والمقارنة ، حتى نصل النتائج دقيقة وتكون هذه الدراسة في مستوى الدراسات الاكاديمية .

المصادر والمراجع :

من أهم المصادر نذكر :

-كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعوم شقير الذي يعتبر من الذين عايشوا تلك الأوضاع ، فكتبوا عنها ويحتوي على كثير من المعلومات الهامة في هذه الفترة ، وما يعاب عنه يمتاز بعدم التسلسل التاريخي للأحداث

-كتاب سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي لمؤلفه اسماعيل عبر القادر الكردفالي الذي يعتبر من بين الشخصيات الذين شاركوا في الثورة المهدية ، لهذا فإن هذا الكتاب ، يعد المصدر الأول لتاريخ السودان في تلك الفترة .

-كتاب السودان بين يدي غوردون وكتشنر لمؤلفه ابراهيم فوزي باشا ، وتكمن أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه يعد أول من رافق غوردون الذي تم تعينه حكمدار على السودان سنة 1879م وأخر من ودعه ، وعبارة عن مجلدين يؤرخان للسودان في الفترة المذكورة .

أما عن المراجع فنذكر :

-كتاب رحلة مصر والسودان لمؤلفه محمد المهدي كركوري الذي ركز هذا الكتاب على شرح بعض الأماكن والقبائل السودانية ، كما ركز على المرحلة الاولى من الثورة المهدية .

كتاب الامام المهدي لمؤلفه محمد سعيد القدال ، ويعتبر اول من درس الثورة المهدية بالاعتماد على الوثائق الأرشيفية المعتمدة في السودان .

كما اعتمدت على بعض على مجموعة من الرسائل مثل الثورة المهدية في السودان (1881-1899م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ معاصر من إعداد دباخ حنان ، حيث اعتمدنا عليها لكونها مرجع ذو أهمية ، وأيضا زودتني بمعلومات عن المرحلة الأولى والثانية من الثورة .

الصعوبات :

أما الصعوبات التي لا يخلو منها أي بحث علمي أكاديمي ومن اهمها

-صعوبة الموضوع ودراسته ، بحيث لم يكن لديا معلومات سابقة عنه.

-عدم القدرة في التنقل إلى دور الأرشيف وتوظيف وثائقه

-صعوبة ترجمة بعض الكتب الأجنبية التي تناولت الموضوع.

افتقار المكتبة الجامعية والمحلية، التي تناولت هذا الموضوع مما أغرمني على السفر على بعض الولايات ذات المسافة البعيدة لاقتناء المادة العلمية، وكذلك المنطقة لم نملك عنها أي معلومات قبل البحث لتساعدنا في التقرب من الموضوع.

رغم الصعوبات التي صادفتني إلا أنني تمكنت من تجاوزها بمعية الله تعالى، وأخرجت هذا البحث في هذه الحلة ، فأتمنى أن يكون إضافة جديدة لمكتبة الجامعة حتى يستفيد منه طلبة العلم .

المدخل :

لمحة عامة عن تاريخ بلاد السودان

1- نظرة تاريخية في السودان
2- التعريف بمنطقة السودان
3- أصل التسمية .
4- الموقع الجغرافي لبلاد السودان .
5- الأوضاع العامة لبلاد السودان (1821-1881م)

استوطن الإنسان في بلاد السود منذ 5000 سنة ق.م وتعد السودان موطن للعديد من الحضارات القديمة ، مثل مملكة كوش – مروة [1]– علوة وغيرها ، والتي ازدهرت معظمها على طول نهر النيل وتداخل تاريخ السودان القديم مع تاريخ مصر الفرعونية على مدى فترات طويلة ، لاسيما في عهد الأسرة الخامسة والعشرين السودانية (الفراعنة السود) التي حكمت مصر [2] .

ولهذا فإن بين مصر والسودان علاقات قديمة ، وترجع هذه العلاقات إلى أبعد المعروف من التاريخ القديم ، ولا غرور في ذلك فإن الأمم القديمة بدأت حياتها وظهرت مدينتها على ضفاف الأنهار [3] .

I. نظرة تاريخية في بلاد السودان :

1- التعريف بمنطقة السودان :

السودان في اللغة : تلفظ جمع أسود بضم أوله قرية بالشام [4]، وتعني بلاد السود أي الجنس الأسود وذلك في مقابلة بلاد البيضان ويقصد بها شمال إفريقية المغرب والصحراء، [5] والسودان جمع صيغة أسود والمقصود الرجال ذوي البشرة السوداء الذين

[1] مروة: تقع في جنوب السودان كانت مروة معاصرة للفرس والبطالسة والرومان ، وكان سلطانها يمتد من شلال الأول إلى حبشة ، فيها مجموعة من الأهرام يبلغ عدد أهرامها ثمانين هرما للمزيد أنظر عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ج 1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012م ، ص ص 65 -66 .

[2] عمر عمر ، السودان تاريخ مضطرب ومستقبل غامض ، ط1 ، مكتبة التمدن ، بيروت ، 2009م ، ص 3 .

[3] نفسه ، ص 3 .

[4] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن حمد الله الحموي الرومي البغدادي (626هـ-1288 م) ، معجم البلدان ، ج3 ، دار صادر ، لبنان ، ص 277 .

[5] نبيلة حسن محمد في تاريخ الحضارة الإسلامية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، د ت ، ص 190 .

يعرفون أيضا الأساود وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أي الرجال ذوي البشرة البيضاء [1].

والمفروض أن تعني بلاد السودان جميع البلاد التي يقطنها السود لكن أغلب الجغرافيين والمرخيين العرب أطلقوها على بلاد السودان الغربي أو غربي إفريقيا دون الودان الشرقي او المصري[2] .

وعليه فكلامها يدل على ما نسميه بمنطقة غرب إفريقيا[3] .

2-أصل التسمية :

عرفت بلاد السودان عبر الزمن بعدة تسميات ومفاهيم بتعدد الكتابات التاريخية ، إلا أن كل تعريفاتهم كانت ذات مدلول واحد .

فقد عرفت باسم إثيوبيا في مخلفات الأثار المصرية ، على جميع السكان ذات البشرة شديدة السمرة ، وذات الوجه الأسود على حد تعبيرهم .[4]

ولقد كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن في الأقاليم الواسعة من القارة الإفريقية [5].

---

[1] نبيلة حسن محمد ، في تاريخ إفريقية الإسلامية إ نتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن 5 حتى القرن 9 هـ ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، 2001 ، ص 68 .

[2] تقي الدين الحوري وخولة شاكر الدجيلي ، تاريخ المسلمين في إفريقية ، ط1 ، دار الكتب ، الإمارات العربية المتحدة ، 2014 م ، ص 217 .

[3] عبد الله عبد الرزاق و إبراهيم شوقي الجمل ، تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر ، د ط ، مكتبة الإسكندرية ، القاهرة ، 1998 م ، ص 05

[4] نعوم شقير ، تاريخ السودان ، تح وتق ، محمد إبراهيم أبو سليم ،دار الجيل ، بيروت ، 1981م ، ص 09 .

[5] القطب محمد القطب طبلية ، الحكومة المحلية في السودان ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، د ت ، ص 18 . 18

كما أطلق اليونان في العصور الماضية اسم إثيوبيا على الأقاليم الواقعة جنوب مصر وشرق إفريقيا ، دلالة على السكان الذين أهلوا هذه الأرض ذات الوجه المحروق [1].

لقد أصبح لفظ السودان ذات مدلول سياسي في القرن العشرين على الأراضي الواقعة جنوب مصر ، وكدلالة جغرافية وبقى لفظ السودان متعارف عليه إلى حد اللحظة

أيضا عرف لفظ السودان في مؤلفات وكتابات العرب من المؤرخين والجغرافيين نسبة للون البشرة ذات اللون الأسود [2]، زيادة على هذا فإن لفظ السودان عربي الأصل والنشأة [3].

3- الموقع الفلكي والجغرافي لبلاد السودان .

أ- الموقع الفلكي :

تقع بلاد السودان بين خطي عرض 30 ، 3-22 درجة شمالا ، فهو بذلك يشمل ثلاثة مناطق مناخية هي : الاستوائية والمدارية والصحراوية[4] .

حيث يحتل السودان المرتبة الأولى إفريقيا من حيث المساحة [5]، لذا يختلف السودان بمساحته وسكانه البالغ عدد سكانها ب 25 مليون نسمة عن أي بلد عربي .[6]

ب –الموقع الجغرافي :

---

[1] أمل عجيل ، قصة وتاريخ الحضارات العربية – موسوعة تاريخية وجغرافية حضارية وأدبية ليبيا والسودان والعرب – ، ج 19-20 ، دار بيروت ، لبنان ، 1999م ، ص 53 .

[2] نفسه ، ص 12

[3] نفسه ، ص 13

[4] محمود شاكر ، السودان ، ط 2 ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، 1981م ن ص 44

[5] نفسه ، ص 40

[6] إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ العالم العربي المعاصر ، ط1 ، مكتبة الحبيكان ، ص 277 .

اما بخصوص الموقع الجغرافي يقع السودان [1]في الشمال الشرقي للقارة الإفريقية يحدها من الشرق البحر الأحمر ومن الشمال مصر ومن الغرب دولة تشاد ، ومن الجنوب الغربي جمهورية إفريقيا الوسطى ومن الجنوب الشرقي إثيوبيا وإرتيريا وليبيا من الشمال الغربي [2].

كما تمتد حدودها قديما من الشلال الأول عند السودان إلى أقصى الحبشة شمالا وجنوبا وتمتد شرقا وغربا من سواكن ومصوع على البحر الأحمر إلى صحراء ليبيا [3].

وتقدر مساحة السودان ما يقارب مليون ميل مربع ، وحوالي ثلث من مساحة القارة الأوربية [4].

وأيضا تتمحور على مساحة شاسعة جدا طولها من الشمال إلى الجنوب نحو 24 درجة أي 165 ميلا ، وعرضها منت مصوع إلى غربي دارفور نحو 22 درجة أي 12 ميل في 1400 ميل [5].

ينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام : السودان الشمالي الواقع بين وادي حلفا ومدينة الخرطوم ، أما السودان الأوسط يقع بين الخرطوم وحوض نهر السوباط وبحر الغزال وأخيرا السودان الجنوبي الواقع ضمن نطاق هندين الحوضين والحوض الجنوبي لنهر النيل .[6]

[1] انظر ، الملحق رقم 1 ، ص 106.

[2] عمر عمر ، المرجع السابق ، ص03 .

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 09 .

[4] القطب محمد القطب ، المرجع السابق ، ص 18 .

[5] داود بركات ، السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية ، مؤسسة هنداوي ، د م ، د ت ، ص 13

[6] شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات (الجزائر –المغرب الأقصى – موريتانيا–السودان) ، ط1 ، دار العارف ، القاهرة ، ص 615 .

قدرت مساحة السودان سنة 1883م ، أي في القرن التاسع عشر[1] مساحة فرنسا 1.861.484كيلو متر مربع أي ما يعادل مساحة فرنسا وإسبانيا والمانيا معا .

4- الأوضاع العامة لبلاد السودان (1821-1881م).

أ – الأوضاع السياسية :

-في عهد محمد علي[2]:

ظل السودان في عشرينات القرن التاسع عشر تحت إدارة الحكم المصري التركي من سنة 1821م حتى عام 1881م ، إذ أن الدولة العثمانية تعتبرها صاحبة السيادة الشرقية على مصر والسودان معا ، فبعد استيلاء "محمد علي "على مصر وتثبيت حكمه عمل جاهدا في إطار سياسته الخارجية على امتداد نفوذه على كامل البلاد السودانية [3].

فكانت هناك عدة أسباب دفعته لتوجه إلى فتح السودان تمثلت في:

1-الأسباب السياسية :

من بين الأسباب السياسية نجد أن "محمد علي " كانت له رغبة جامعة في تأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء في الشرق الأوسط قرب الإمبراطورية العثمانية ، .

---

[1] داود بركات ، المرجع السابق ، ص 14 .

[2] ولد هذا الرجل عظيم الشأن في مدينة قولة سنة 1182هـ / 1769م ، وتوفى والده وهو صغير فرباه عمه حتى بلغ اشده فزوجه ابنته ثم اشتغل تجارة الدخان للمزيد أنظر : محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح إحسان حقي ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981م ، ص 390 .

[3] شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص 159 .

بحيث تمتد من شبه الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي ، تشمل السودان والبحر الأحمر والبحر الابيض المتوسط .[1]

بالإضافة إلى هذا نجد أن الفرمان الذي أصدره الباب العالي في معاهدة لندن[2] 15 ماي 1840م يقتضي على الا يتولى " محمد علي " مقاطعة دارفور وكردفان .[3]

وأيضا أراد " محمد علي " إتباع سياسة فراعنة مصر في تشييد إمبراطورتيهم حتى وصولها إلى سواكن[4]

2-الأسباب الاقتصادية:

نجد من بين الأسباب الاقتصادية ان " محمد علي " أراد الاستيلاء على منابع النيل من أجل خدمة مصر ورغبته التجارية في تجارة الرقيق الذي يعتبر من أعظم المهن لدى السودانيين ، واستغلالها لمناجم الذهب لصالح مصر وكذا في أغراضه الشخصية [5].

وأيضا اكتشاف خيرات وثروات الطبيعية وخاصة منها العاج والمعادن الذهبية والفضية ، بالإضافة إلى الثروة الزراعية واستغلالها لصالح مصر ، وتوسع أسواق التجارة المصرية في البلاد السودانية .[6]

وكان يرغب في السيطرة على التجارة بأكملها لاسيما ريش النعام والجلود في الاسواق العالمية لسد أغراضه وتعويض خسائره في الحروب بالإضافة إلى رغبته بسيطرته

---

[1] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] اتفاقية أبرمتها الدول الأربع الكبرى (بريطانيا النمسا روسيا بروسيا) في 15 مايو 1840م مع الباب العالي تقتضي أن تتعاون الدول الأربع على إعادة السلم في الشرق للمزيد انظر: شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 189.

[3] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص ص 184-185 .

[4] ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ط 4 ، دار الحياة ، لبنان ، 1968م ، ص25.

[5] محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 22-23 .

[6] محمد بن أحمد إسماعيل، المقدم المهدي ، ط11، الدار العالمية للنشر والتوزيع ، مصر ، 2008 م ، ص291 .

الكاملة على كامل وادي نهر النيل ، ووضعه تحت تصرفه في ظل إلحاح بعض الدول وخاصة الحبشة التي كانت تلوح لتحويل مجرى مياه النيل بإيعاز من الدول الأوربية .[1]

3- الأسباب العسكرية والأمنية :

ما أصر عليه " محمد علي " في مراسلاته لابنه الاستعانة بالعبيد السوداني لتكوين جيش كبير يستعين بهم في حروبه ، وسعيه في مطاردة المماليك الفارين من حكمه وإدارته بعد مذبحة القلعة [2]الشهيرة عام 1811م ، وأيضا في إطار سياسته التوسعية أراد توسيع حدود دولته على حساب السودان في ظل التهديدات الأوربية .

زيادة على هذا أراد التخلص من الجند الألبانيين عن طريق إرسالهم إلى السودان واهتمام " محمد علي " بالسودان نظرا للحاجة الماسة إلى الجنود[3] ، حيث أن الجندي السوداني يتميز بالصلابة والشجاعة ،[4] ضف إلى هذا تخوفه من المماليك الفارين إلى السودان بأن يشكلوا في السودان قوة وتوحيد صفوف القتال لمواجهته .[5]

- عهد إسماعيل باشا (1863م-1879 م):

[1] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 70 .

[2] وقعت هذه المذبحة في يوم 1 مارس 1811م ، كان محمد علي يريد الانفراد بسلطة مصر فكان عليه التخلص من الزعامة الشعبية والجند الألبانيين الذين حاولوا قتله 1815 م وأكثر المشاكل التي واجهت محمد علي هم المماليك الذين كانوا يرون أنهم الحكام الأصليين لمصر وكانوا دائمين التمرد والانزعاج لمحمد علي فبم تنفع معهم محاولا الصلح والإرضاء بالأموال للمزيد أنظر : نجاة سليم محمود محاسيس ، معجم المعارك التاريخية –معارك وغزوات حروب وثورات وقعات أيام فتوحات ، مذابح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ وحتى عام 2005م، ط 10، دار زاهر، الأردن ، 2011م، ص 490 .

[3] محمد ابن أحمد إسماعيل ، المصدر السابق ، ص 291 .

[4] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 69 .

[5] محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 195 .

شهدت الأوضاع السياسية في عهد إسماعيل باشا[1] عدة أحداث سياسية تمثلت فيما يلي :

تعيين سليمان بن الزبير مديرا لدافور ثم مديرا لبحر الغزال ، كما عين إدريس ابتر مديرا لبحر الغزال خلفا لسليمان ن كما ساعد المديرون القبائل الرحل له الاستقرار ومنح كثير من زعماء القبائل الرتب ، حيث عملت الإدارة المصرية على تنفيذ الحكم الغير مباشر في السودان ، من أجل تمكين وتأهيل على العمل الإداري مما أوكل إليهم أمر حكمهم [2].

كما برز عدد من الحكمداريين ، برزت منهم شخصيات كان لهم دور في تنظيم الإدارة ، كما عمل على محاولات ربط السودان بمصر بأحداث وسائل الاتصال كالسفن التجارية والسكك الحديدية .

وإلى جانب هذا فقد اصدر إسماعيل أوامر إلى حكمداري السودان يمنع الإتجار في الرقيق [3] الذي يعتبر من أهم المهن بالنسبة للسودان[4] .

وفي إطار سياسته التوسعية فقد عرف السودان خلال هذه الفترة عدة فتوحات تمثلت في فتح فاشودة سنة 1865م ، وأقامت بها معسكرا ، وتقع فاشودة عند ملتقى الطرق المختلفة من الخرطوم والحبشة ، إلى جنوب السودان وهي نقطة الاتصال بين السودان وأقاليم خط الاستواء[5] .

---

[1] هو ابن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، من مواليد ديسمبر 1830 م بالقاهرة ، تعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، للمزيد أنظر : عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 136 .

[2] زاهر رياض ، السودان من الفتح المصري حتى الاستقلال (1821- 1953م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ت ، ص ص 86-87 .

[3] بالكسر العبودية وهو مصدر رق الشخص يرق ، من باب فهو رقيق ، للمزيد أنظر : عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص ص 199 .

[4] شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ص 216-218 .

[5] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 137 .

كما ضم إسماعيل باشا لمصر نواحي البحيرات الكبرى في منابع النيل وبحر الغزال وجهات خط الاستواء وحتى ساحل البحر الأحمر وصولا إلى رأس غردفوي[1] .

- عهد غوردون (1874-1877م)[2]:

في عام 1874م عين الكولونيل "غوردون " مديرا للمديريات الاستوائية بوصاية من ولي عهد إنجلترا إسماعيل باشا[3] فكان وجود " غوردون "بالمنطقة كارثة لهم ، فمنع تجار السودان بالإتجار بالرقيق ، وإذا ما وقع في يده أي تاجر رقيق فلن تجدي أي محاولة لإنقاذه من بطشه ، فبذل جهود عظيمة للقضاء على تجارة الرقيق ، وعمل أيضا على إيقاف تجارة الرقيق مؤقتا أينما حل[4] .

فكان تواجد غوردون بمودرية خط الاستواء خدمتا لمصالح البريطانية على حساب المصلحة المصرية[5] .

فحرص منذ بسط يده على حكم المديرية الاستوائية على فصلها عن حكمدارية السودان واعتبارها مديرية مستقلة بحد ذاتها بحكم بعد المسافة عن الخرطوم ، وجاء بمقترحات عرضها على الحكمدار من ضمها أن يضم إلى مديرتيه نهر سوباط ونهر الجو أي أن يضم جزء من مديرية فاشودة [6].

---

[1] نفسه ، ص 147 .

[2] من مواليد عام 1833م بمدينة ولوتش الإنجليزية ، لحق بالجندية سنة 1852م ، وهو من أسرة اشتهرت بالجندية ، عين مديرا في مديرية خط الاستواء في جانفي 1874م، للمزيد أنظر عبد الله حسن، المرجع السابق ، ص ص 139-144 .

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 252 .

[4] نفسه ، ص 254 .

[5] محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 27 .

[6] مكي شبيكة ، السودان عبر قرون ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م ، ص 210 .

وفي عام 1874م قام باصطحاب عدد من الضباط المصريين والسودانيين والاجانب ليعتمد عليهم في البعثات الكشفية التي أرسلها إلى منطقة البحيرات الاستوائية ، ومن بين هذه البعثات بعثة الامير ألاي بودري بك الأمريكي وجاب الجهات التي بين النيل والبحر الأحمر غربي رأس بناس ولحق به كولومبيس الأميرالي الأمريكي وخطط الجهة بين برنيس وبربر ، وبعثة شاي لونج[1] ، بعثة أرنست ليمان دي بلفون ، بعثة واسطن وشيندال ، بعثة رومولوجيس ، بعثة ماسون .

ومن نتائج هذه الرحلات الاستكشافية أنشأ "غوردون" نقاطا عسكرية ، وقام بترك 640 عسكريا سودانيا ، و150 جنديا مصريا ، و650 وصاحب غوردون الدكتور أمين وجيسي .[2]

وبعد هذه الاكتشافات المصرية أدخلت على التقسيم الإداري للسودان تعديل ليصبح السودان إداريا يتألف منه 09 مديريات وهي على النحو التالي :

-المديرية الشمالية ومركزها الدامر.

مديرية الخرطوم ومركزها كسلا .

-مديرية كسلا ومركزها كسلا .

-مديرية كردفان ومركزها الأبيض .

-مديرية دارفور ومركزها الفاشر .

[1] هو ضابط أمريكي ولد في مصر بولاية مروى وإلتحق بخدمة الجيش المصري في سنة 1879م ، وهو من ضباط أركان الحرب له للمزيد أنظر : عمر طوسن ، تاريخ مديرية خط الإستواء المصرية (1889-1869م) ، ج 1 ، مطبعة العدل ، الإسكندرية ، 1937م ، ص ص 115-116

[2] حسن عبد الله ، المرجع السابق ، ص 143 .

-مديرية النيل الأزرق [1]واد مدني .

وهذه المديريات الست مسلمة عربية وتقع ضمن شمالي السودان

-مديرية أعلى النيل ومركزها ملكال .

-مديرية بحر الغزال ومركزها واو .

-المديرية الاستوائية ومركزها جنوبا .

وهذه المديريات الثلاث تغلب عليها الوثنية مع أقليات من المسلمين والنصارى وتقع ضمن جنوب السودان [2].

ب – الأوضاع العسكرية :

شهد السودان أثناء الفتح المصري التركي أوضاع عسكريا غير آمنة وذلك راجع لحملات غزوة محمد علي للسودان وبهذا سنذكر هذه الحملات ، والحروب مرورا سريعا:

كانت الحملة العسكرية الأولى موجهة إلى الزحف ساريوليو1820م ، بقيادة اسماعيل بن محمد علي باشا ، وكان شابا في حوالي الخامسة والعشرين من عمره ، وكان جيشه 40.000 جندي مقاتل من المغاربة والأتراك وغيرهم [3].

بمرافقة ببعض مستشارون ذات خبرة في الميدان العسكري ، أمثال عابدين بكره ، وعبدي كاشف ، كما رافق مع حملته ثلاثة علماء وهم القاضي محمد الأسيوطي الحنفي ، والسيد

[1] شلالا كبيرا يعرف بشلال الرصيرص أو بالشلال السابع يبدأ عند قرية الرصيص 426ميلا من الخرطوم ويمتد جنوبا نحو 40 ميلا ، وفي أعلب النيل الأبيض في بحر الرجاف سلسلة من الشلالات للمزيد أنظر : محمد مهدي كركوكي ، رحلة مصر والسودان ، دار العارف ، د ت ، ص 235 .

[2] عمر طوسن ، المرجع السابق ، ص 180 .

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 195 .

أحمد البقلي الشافعي، والشيخ السلاوي المالكي ، وكان هؤلاء العلماء أن يحثو الناس على وجوب طاعة الوالي المسلم محمد علي أن يجتنبوا سفك دماء المسلمين ، ويطيعوا خليفتهم العثماني ووالية في مصر.

وكانت العملية العسكرية الأولى في مصر برية وبحرية ، فلما ارتفعت مياه النيل بفعل فيضانه في يوليو 1820م حتى اندفعت مراكب الجيش 3000 مركب تشق مياه النيل من السودان إلى بلاد السودان تحمل الرجال والعتاد ، أما المشاة والجمال ينتقلون برا .

كانت بلاد النوبة في الدر جنوبي آسوان تتمتع باستقلالها تحت حكم حسين كاشف [1].

الذي أراد المقاومة أولا لكنه خاف ، وبذلك أفسح المجال لأخيه حسن ليسلم" إسماعيل "خاضعا فأقره هذا على بلاد ، وتقديم بجيشه صاعدا إلى الجنوب ووجد حكام شمال السودان أنفسهم ضعافا أمام جيش" إسماعيل "وذلك لتفرقهم إلى عدة مماليك صغيرة، فأثر بعض منهم أن يستسلم [2]، فأدنت له بربر [3] شندي [4] سنار [5] .

معركة كورتي في تشرين الثاني نوفمبر 1820م :

[1] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص ص 70-71 .

[2] نفسه ، ص 71 .

[3] عاصمة مديرية بربرعه 438 م من نقلة و196 من الخرطوم في عرض 1-18 درجة وطول شرقي 4-34 درجة ، قيل سميت بربر لأنه كان يحكمها في القديم إمرأة تسمى بربرة وتسمى المخيرق أيضا وهي مشتقة من الخريف لانها من أطيب بلاد السودان هواء للمزيد أنظر : محمد مهري كركوي ، المصدر السابق ، ص 134 .

[4] من أهم مراكز التجارة في السودان الدفترادر بدء لفتح الأول لغدر ملكها الملك نمر بإسماعيل باشا نجل محمد علي ثم عمرت لكنها لم تعد إلى أهميتها التجارية ، للمزيد أنظر : نفسه ، ص 314 .

[5].من أشهر مدن السودان وأقدمها أسسها الونج سنة 910 هـ ، وأقاموا فيه مملكة دامت إلى سنة 1236هـ ، فاستولت عليه مصر للمزيد أنظر : نفسه ، ص 343 .

تقدم جيش "إسماعيل" حتى بلغ ديار الشايقية التي كان زعيمها الملك " جاويش "، وكان الشابقية يعتزون بجهادهم البحري وسطوتهم على جيرانهم ، وثورتهم على سلطان الفونج حيث لم يقبلوا الخضوع إلى نفوذهم .

فلما تقدم إسماعيل ووصل بلادهم رغبوا في الخضوع إليه ، على أن لا يتدخل في شؤونهم ولكن إسماعيل وضع شروطا لتسليمهم أهمها أن يسلموا الخيل والسلاح فضلا عن عملهم في حراثة الأرض ، فلم يقبل الشايقية هذه الشروط وعزموا على القتال .

ودخلت مقدمة الجيش المعتدي إلى أرضهم فلاقوها بهجوم مفاجئ بالسلاح الأبيض والخيل ، وماهي إلا لحظات حتى سقط حوالي السبعين قتيلا من مقدمة الجيش الغازي وفر خمسة وعشرون ليحملوا نبأ الأول " لإسماعيل ".

أمام هذا الفشل الأول تقدم " إسماعيل " بجيشه والتقى به جيش الشايقية قرب مدينة كورتي ، وقام الشايقية بهجوم أخر على أعدائهم ، ولكن رصاص إسماعيل حصدهم وخيولهم قبل أن يصلوا إلى الجيش ليستعملوا رماحهم وسيوفهم [1].

وكانت معركة خاسرة تفوق فيها السلاح الناري على السلاح الابيض وعلى بسالة تمضي ثلاث ساعات حتى انتهت المعركة بخلوا الميدان من المدافعين ، واستمر إسماعيل يضرب قلاعهم بقنابل مدافعة حتى انحطت قواهم المعنوية والحربية وانقسم إلى طائفتين :

طائفة كان يقودها الملك صبير حاكم غرب بلاد الشايقية ، وقد رأت في التسليم سلامة وطائفة بقيادة الملك جاويش حاكم مروى وهذه فرت إلى أراضي الجعلين حيث سبقتهم فلول الممالك ، وكانت ترى المقاومة فأصبح موطن الجعليين الذين يترأسهم الملك نمر

[1] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 71-72 .

مركز المقاومة السودانية ولم يكتف الملك " صبير " بالاستلام للغزاة بل أعلى عن رغبته هو وأباعه بالانضمام إلى جيشهم فكان لهم ما أرادوا[1] .

سقوط سنار في 13 حريزان 1821م ، وسيطرة " محمد علي باشا " جزء كبير من حوض النيل والنيل الأزرق[2] .

أما العملية العسكرية الثانية فكانت حملة كردفال ودارفور بقيادة التي أرسلها " محمد علي باشا " بقيادة صهره " محمد بك الدفتردار لضم غرب السودان إلى أملاك مصر[3]

وكان الدفتر دار شابا كإسماعيل لا يقل عنه كبرياء واستبدادا [4]، وكما العبابدة جيش اسماعيل ، كذلك ساعد الكبابيش وأمدوا جيش الدفتر دار بما احتاج إليه من جمال النقل العتاد والمؤن من الدبة إلى غرب السودان وكانوا هم خير دليل له لتحديد معسكراته في أماكن الآبار القليلة الموجودة في تلك الصحراء ، واستأجر الدفتر دار جمالهم لحمل سلاحه ومؤونه.

وقبل أن يصل إلى هدفه في الأبيض أرسل كتابا إلى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور بن محمد علي باشا ينصحه فيه بالتسليم والخضوع[5].

معركة بارة 16 أفريل 1821 م .

التقى جيش المقدوم مسلم بجيش الدفتر دار في بارة ، وكل من القائدين والجيشين قد أستعد للقتال ، وما أن رأى جيش كردفال الاعداء حتى هرعوا غليهم هاجمين بخيولهم

[1] نفسه ، ص ص 71-72 .
[2] نفسه ، ص ص 72-73 .
[3] نفسه ، ص 73 .
[4] شوقي عطاالله الجمل ، المرجع السابق ، ص 170 .
[5] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص ص 73-74 .

وارجلهم لا يتوقعون غلا النصر لهم ، وسرعان ما سقط جيش كردفال سريعا كما حصل مع جيش الشايقية ، وسقط المقدوم مسلم في أرض المعركة وطلب الباقون النجاة وكل منهم يحمل جروحا في جسده من رصاص لم يصادف مثله من قبل، وهكذا سيطر الدفتردار على كردفال بسهولة فائقة ، وفي تشرين الاول 1821م قرر " محمد علي " عدم غزو " دارفور " وفكر في التنازل عن " كردفال " لأحد ملوك السودان مقابل جزية سنوية .[1]

ج- الأوضاع الاقتصادية :

1) الزراعة: شغل موضوع الزراعة السودانية في القرن التاسع عشر مسؤولين بمصر والسودان للنهوض بالاقتصاد السوداني ومواكبة الاقتصاد المصري ، حيث كانت أراضي كثيرة ذات مساحات شاسعة صالحة للزراعة خاصة على ضفاف نهر النيل ، لا تجد من يخدمها نظرا لقلة الأيادي العاملة ، ويمكن تقسيم الأراضي السودانية في تلك الفترة إلى ما يلي:

أ_ الأراضي الخراجية:

هي الأراضي التي يمكن لصاحبها أن يقوم باستغلالها وزراعتها مقابل دفع ضريبة للحكومة ، وإن قصر صاحبها في أدائها فإن الحكومة تمنحها لشخص أخر يستطيع خدمتها واستغلالها.

[1] نفسه ، ص 74 .

ب- الأراضي الأبعادية:

كانت أراضي خالية بدون زراعة لم تكن في حوزة أحد ، فمنحتها للأفراد من أجل استغلالها وتشجيعهم من خلال اعفائهم من الضرائب مدة ثلاث سنوات[1].

ج- **أراضي الأوقاف:**

تلك الأراضي التي تبرع بها أصحابها وقفا لله لخدمة المساجد والمدارس[2].

2) النظام الضريبي:

بعد حملة " محمد علي باشا " قام في إطار سياسته بوضع نظام الضرائب على الاهالي فتم تسجيل القرى وعينت لها ضرائب .

وكانت الضرائب في السودان نوعين :

أ-ضرائب على الجماعات المستقرة التي تعمل في زراعة وغيرها من الحرف .

ب-ضرائب على جماعات المرتحلة كالبدو ، وهذه كانت تقوم على أساس الإتفاق على مبلغ من المال يقدر جملة واحدة على الجماعات من الناس .

حيث كان رجال الإدارة في السودان يقومون بجمع الضرائب من الأهالي[3] .

---

[1] حمدان الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1881-1883م)، دار المعرفة ، القاهرة ، 1985م ، ص 37 .

[2] نفسه ، ص 40

[3] عبد الصمد منصور عبد الفتاح ، العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899-1992م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م ، ص 28 .

حيث فرض الضرائب على الأهالي السودانيين دون مراعاة الفوارق المادية لحالتهم على الدفع ، وأمام هذا الوضع السائد تذمر السكان من النظام الضريبي ، وهجر الكثير من الناس على اراضيهم باعتبارهم أن هذا النمط غريبا عنهم وأثقل كاهل الشعب السوداني [1] وإجحاف في حقه وأصبحوا يتخلون عن اعز ما يملكون من النقود الفضية والأجنبية[2] .

3-الصناعة :

من ناحية الصناعة فإن السودانيين لم يعرفوا الكثير من الصناعات خلال الفترة الممتدة من 1821م إلى غاية 1881م ، وفي المقابل عملت الإدارة المصرية على رفع مستوى بعض الصناعات وإدخال صناعات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فعملت على تكوين السودانيين من خلال إدماجهم من خبراء أجانب وتدريبهم في المصانع المصرية والمدارس الفنية المتخصصة[3] .

4-التجارة والموصلات :

كانت هناك جهود من قبل الإدارة المصرية لجماعة القوافل التجارية ، وقد أوكلت هذه المهمة لشيوخ القبائل ، التي تمر هذه القوافل عبر أراضيها ، كما أولت الإدارة اهتماما خاصا بالملاحة النهرية لتسهيل مرور القوارب عبر الصخور النهرية .

كما اشتهر بعض التجار خلال هذه الفترة منهم :" حبيب لطف الله باشا والسيد محمد باشا ورضوان القرى ...[4].

---

[1] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 78

[2] فرار صلح فرار ، المرجع السابق ، ص 44 .

[3] مرزقلال لعماري ، الوضع الاقتصادي في السودان في ظل الحكم المصري ، المجلة الجزائرية ، ع 4 ، الجزائر ، 2017م ، ص 73

[4] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 168 .

ومن أهم الطرق التجارية التي كانت تسلكها القوافل والسفن في هذه الفترة :

-طريق الخرطوم [1]إلى الأبيض [2].

-طريق الخرطوم إلى الفاشرة[3]

-طريق الخرطوم إلى غندوكر

-طريق الخرطوم إلى قوزرجب

-طريق الخرطوم إلى دنقلا

-طريق الخرطوم إلى أبو حراز

-طريق الخرطوم إلى قوزر جب في كسلا [4]

-طريق القضازف[5] إلى القابلات [6]

- طريق القضارف إلى البحيرة

-طريق القضارف إلى كسلا[7]

---

[1] عاصمة المديرية المنسوبة إليها ، وعاصمة السودان عموما ، سميت بالخرطوم لأنها واقعة على لسان داخل بين النيلين يشبه خرطوم النيل للمزيد أنظر محمد مهري كركوري ، المرجع السابق ، ص 337 .

[2] عاصمة المديرية ومن أشهر مدن السودان التجارية وأقدمها للمزيد أنظر نفسه ، ص 353 .

[3] بلدة متسعة قائمة على تلين عظيمين يعلوان 235 قدما في سطح البحر للمزيد أنظر : نفسه ، ص 355 .

[4] الميحاف أر ونجت ، المهدية والسودان المعاصر ، تح محمد المصطفى حسن عبد الكريم ، دار غزة ، الخرطوم ، د ت ص 47 .

[5] تطلق على القسم الشمالي من البلاد وهي مشهورة بالخصوبة وجودة المحاصيل ، وتعرف أيضا بالقضارف أي باسم البلاد كلها وفيها سوق من أشهر أسواق السودان ، للمزيد أنظر : نفسه ، ص 349 .

[6] تقع في القسم الجنوبي من البلاد مركزها التمة ، واقعة على سفح جبال الحبشة ، للمزيد أنظر نفسه ، ص 349 .

[7] عاصمة المديرية وهي شرق خور الفاش في طول شرقي 24-36 درجة وعرض شمال 28-15 درجة من أهم المراكز في السودان الحربية ، للمزيد أنظر : محمد مهدي كركوكي ، المرجع السابق ، ص 348 .

-طريق قوزرجب إلى سواكن [1]

-طريق مصوع إلى سنهين

-طريق سنهين إلى كسلا

-طريق غندكرو إلى الدفلاي

-طريق غندكرو إلى مينونو

-طريق غندكروا فويزة

-طريق غندكروا إلى لا توكا

-طريق غندكروا إلى مكرى [2].

-طريق الفاشرة [3]إلى سبوط [4].

د-الأوضاع الدينية :

شهدت الأوضاع الدينية في السودان خلال القرن التاسع عشر ميلادي ، تتشكل اليقظة الدينية بين جموع السكان والتي ليست رداء الطرق الصوفية بفعل تأثير مشايخ الطرق بإظهارهم الصفات الطيبة مما جعل الناس يلجئون إليهم ، وبمرور الوقت ازداد مريدوها،

[1] عاصمة الحافظة وهي واقعة على البحر الأحمر ، عبارة عن جزيرة للمزيد أنظر :نفسه ، ص 350 .

[2] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 189 .

[3] بلدة متسعة قائمة بين تلين عظيمين يعلوان 235 قدما على سطح البحر ، أسسها السلطان عبد الرحمان الذي تولى دارفور سنة 1215هـ ، للمزيد أنظر : نفسه ، ص 355 .

[4] هي حلة صغيرة في طريق الطويشة من أعمال دارفور اتخذتها حكومة السودان مركزا لمأمورية في أقص غرب الأبيض ، نفسه ، ص 354.

فقد انتشر في السودان عدة طرق[1] صوفية[2] ومن أهم الطرق التي ظهرت في السودان نذكر:

1_ الطريقة الشاذلية والقادرية:

أ) الطريقة الشاذلية :

أول طريقة صوفية عرفها السودان ، نسبة إلى شيخ الطريقة "أبي الحسن الشاذلي " التونسي 1096-1258م ، أدخلها إلى السودان " الشريف محمد أبو دنانة " عام 1445م ، ورسخت أقدامها في القرن 18 م [3].

ب) الطريقة القادرية :

تعتبر أكثر الطرق انتشارا في العالم الإسلامي و خاصة في الجزيرة و دارفور منذ القرن 16 م [4]، قامت على يد " عبد القادر الجيلالي "

(1078- 1066م)، وبذلك نشأت الطريقة القادرية الصوفية نسبة لمؤسسها عبد القادر الجلالي وهي أقرب الطرق الصوفية إلى مذهب السنة والجماعة ، حيث دخلت السودان على يد " عبد تاج الدين البهاري " وذلك عام 1545م [5].

---

[1] لغة هي جمع مفرد طريقة والطريقة حسب ما ورد في لسان العرب هي سيرة وطريقة شخص ماهي مذهبه وبقاء شخص على طريقة واحدة أي بقاؤه به حال واحدة ومنها ما ورد لفظ طريق أي بمعنى سبيل ، للمزيد أنظر : إبن منظور ، لسان العرب ، ج 10 ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص ص 220-221 .

[2] كلمة اشتقت من الكلمة اليونانية صوفيا sofia أي الحكمة ومنهم من يرى أن أصلها عربي واشتقت من الصفاء ، للمزيد انظر :علي بدوي سلمان ، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960 م) ، رسالة ماجبستار تاريخ حديث ومعاصر جامعة القاهرة ، 2003م ، ص 3 .

[3] محمود شاكر ، الرجع السابق ، ص 17 .

[4] إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 279 .

[5] محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 17 .

2-الطريقة الختمية :

وهي الطريقة الثالثة التي دخلت إلى السودان في أواخر عهد الفونج على السيد محمد عثمان الميرغي الكبير (1815-1819م)[1] حيث تتلمذ على يد أحمد بن ادريس في مكة ، وأرسله معلمه إلى السودان ليبشر بالدعوة فمكث طويلا في كردفال والنوبة وسنار ، وتزوج امرأة سودانية ولاقت هذه الطريقة استجابة رائعة بين فئة التجار في المدن لسهولة اجراءاتها وتنظيمها المركزي كما أرسل ابنه إلى سوكن حيث اتبعته قبائل البجاة وبنوي مر [2].

3- الطريقة السمانية :

أسسها الشيخ محمد عبد الكريم السمان[3] ، وهي فرع من فروع الطريقة الخلوتية وكان تاريخ دخولها إلى السودان على يد الشيخ أحمد الطيب بن البشير العباسي الذي لعب دورا في جذب الكثير من الناس إلى الطريقة السمانية [4]، فانتشرت انتشارا سريعا وصار من مريدوها جماعات تنتمي إلى الطريق القادرية ، ولم يمضي وقت طويل حتى صار للسمانية شأن كبير ، ولم توفى الشيخ أحمد الطيب أحمد مريدها انقسم السمانية إلى ثلاث فروع :

- - فرع تابع للشيخ محمد الشريف نور الدائم .
- فرع تابع للشيخ القرشي والزين .

[1] نفسه ، ص 17 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 279 .

[3] محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 17 .

[4] نفسه ، ص 17 .

- فرع تابع للشيع البصير[1] .

بعد بسط " محمد علي " نفوذه على كامل التراب السوداني أخذت الإدارة المصرية جاهدة في تنفيذ سياستها، حيث قسمت فترة الحكم المصري في السودان إلى أربعة فترات زمنية :

الفترة الأولى (1821-1841م) : حيث تميزت هذه الفترة بصدور فرمان لتولية " محمد علي " على الحكم السوداني ، كما عمل على كسب عواطف السودانيين تجاه الحكم المصري واسترضائهم[2] .

الفترة الثانية من عام 1841 حتى 1855م : وفي هذه الفترة تم تقسيم السودان إلى سبعة مديريات تتمثل في مديرية الخرطوم وبربر ودنقلا وكدفال إضافة إلى فازوغلي وسنار والتاكا .

الفترة الثالثة من 1855 حتى 1863م : في هذه الفترة نشبت الكوليرا ، وزيادة عبد الحليم باشا، ابن محمد علي باشا إلى السودان ، كما قام الخديوي محمد سعيد بزيارة إلى السودان وكان أن يتخلى عن السودان نظرا لشؤونه .

الفترة الرابعة والأخيرة من عام 1863 إلى 1880م : كانت هناك عدة رحلات استكشافية في مناطق خط الاستواء التي باشر بها صمويل بيكر ، كما شهدت هذه الفترة بداية النفوذ والتغلغل البريطاني بعد تمكين الكولونيل غوردون مديرا للمديريات الاستوائية[3] .

توارث على السودان منذ الفتح المصري التركي إلى قيام الثورة المهدية حكام حكمدار كثر ، حيث كانت فترة حكمهم مابين 06 أشهر إلى خمس سنوات ما عدا خور رشيد

[1] محمد إبراهيم أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان (الأراضي –العلماء –الخلافة –البربر–علي المريغي)، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م ، ص 106 .

[2] زاهر رياض ، المرجع السابق ، 68 .

[3] المجر إف ،أر ونجت ، المرجع السابق ، ص ص 42-43 .

باشا الحاكم الثالث الذي طالت فترة حكمه قدرها إثنا عشر سنة أي من سنة 1826 حتى عام 1838م [1].

وصف الحكم المصري :

كانت الطبقة المثقفة من السودانيين[2] يسمون الحكم المصري منذ عهد محمد علي حتى قيام الثورة المهدية " بالفتح الأول " وكانت عاصمتهم تسمية الحكومة التركية ، وسمى عاصمتهم الحكم بعد استرجاع السودان الحكومة التركية الثالثة ، كما أن العامة من الشعب السوداني تعت مظلة الحكم المصري يعبرون عنه بقولهم[3] : " الترك لبسونا القميص وعلمونا الحديث " ويطلقون على الأتراك والمصريين اسم " ود الريف"

1- مذكرات القباني عن الحكم المصري

نقتطف من مذكرات السيد محمود القباني ما يلي :

"...منذ نشأتها وجدنا مدينة زاخرة بالعمران ، وبنايات بالأجر الطوب الأحمر والحجارة المنضدة ، ... وأكثر المنازل كانت دورين ، وأقلها الدور الأرضي ..."[4]

2- شهادة الأجانب للحكم المصري في السودان :

قال سيد صمويل بيكر "يستطيع السائح الأوروبي في المناطق البعيدة في السودان أن يخشى على نفسه أكثر ما يخشاه من يتنزه بعد الغروب في حدائق هايد بارك "

وقال أيضا " أن مصر وحدها هي التي يستطيع نشر الحضارة في افريقيا النيلية إنشاء حكومة نظامية "[5]

---

[1] مكي شبيكة ، المصدر السابق، ص 108.

[2] انظر، الملحق رقم 2 ، ص 105.

[3] عبد الله حسين، المرجع السابق، ص 166 .

[4] نفسه ، ص 171 .

[5] نفسه ، ص 169 .

الفصل الأول :

التعريف بشخصية محمد أحمد المهدي :

المبحث الأول : التنشئة الاجتماعية والتعليمية لمحمد أحمد المهدي .

1-التنشئة والبيئة .

2-التنشئة الاجتماعية والتعليمية .

3-ثقافته الدينية .

4-إتجاهات ثقافة المهدي .

المبحث الثاني : الدعوة المهدية وتأثيرها على محمد أحمد المهدي .

1-شيوخه في التصوف .

2-المهدية النشأة والتاريخ .

3-محمد أحمد مهديا .

4-دعوته .

أ-المرحلة السرية

ب-المرحلة الجهرية

1- التنشئة والبيئة .

ولد " محمد أحمد[1] بن عبد الله الحاج الشريف العلوي[2] ، في جزيرة لبب التي تبعد عن مدينة دنقلة[3] بمسافة تقدر تقريبا خمسة عشر كيلوا مترا [4]، في جزيرة ظرار إحدى جزر النيل الواقعة بالقرب من مدينة دنقلة في شمال السودان[5] ، في الأسبوع الثاني من شهر اغسطس عام 1843م المواقف ل رجب عام 1260 هـ [6].

والدته تدعى زينب واسم أبيه عبد الله بن فحل بن الحاج الشريف[7] ، طال عمره واشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان والده تاجرا يمتهن صناعة السفن والمراكب ، حيث عرفت واشتهرت أسرته بصناعة المراكب ودقة صنعها [8].

من سلالة عربية [9]، سلسلة النسب التي كان ينادي بها لنفسه محمد المهدي بن عبد الله بن فجل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد بن الحاج الشريف بن علي بن حسن النية بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن الحسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن

---

[1] أنظر ، الملحق رقم 3 ، ص 106.

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 321 .

[3] هي عاصمة مديرية دنقلة على 259 ميلا من حلفا وفي طول 29و30 درجة ويقال لها دنقلة الجديدة تميز الماغي دنقلة العجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى وتسمى أيضا الأوردي ، للمزيد أنظر: محمد المهدي كركوري ، المرجع السابق ، ص 309 .

[4] عبد الرحمان الرافعي بك ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من سنة (1882-1892م) ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1948م ، ص 93 .

[5] امل عجيل ، المرجع السابق ، ص 21 .

[6] محمد سعيد الغزال الإمام المهدي أحمد بن عبد الله (1844-1885م) ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م ، ص ص 37-38 .

[7] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 321 .

[8] الميجر إف أرونجت ، المرجع السابق ، ص 37 .

[9] عبد الرحمان الرافعي بك ، المرجع السابق ، ص 93 .

موسى بن أبي العباس [1]، وهذا النسب كان معروفا عن الأسرة قبل أن يظهر محمد أحمد [2]

وتعود شجرة نسب أسرته إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم[3] .

وفي السنة التي ولد فيها محمد أحمد هاجر أبوه وإخوته إلى قرية تدعى كرري شمال أم درمان ، وبعدها توفى والده وتركه تحت كفالة إخوته [4]، كما أن والدته لم تلبث كثيرا حتى وافته المنية ، وبهذا فلقد شب محمد أحمد يتيما [5].

2-التنشئة الاجتماعية التعليمية:

لم يهتم محمد أحمد لإخوته في صناعة السفن والتجارة ولم يألفها ، لكنه كان متحمسا ولعا للدين والعلوم الدينية ، وقرر أن يكرس وقته ويتفرع للتعلم والتطور في هذا المجال [6]، [6]، إذ كان العلم يجذبه منذ طفولته ، وكان الدين يشغل وقته واهتمامه ، وكان محبا لقراءة لقراءة الكتب الدينية على حد تعبير أحد مشايخه [7]، وكان يقضي معظم وقته في الاستماع للقرآن حيث كان ورعا منذ صباه [8].

[1] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 221 .

[2] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 37 .

[3] محمد إبراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ط3 ، دار جامعة ، السودان ، 1989 م ، ص 27 .

[4] مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وداي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، دت ، ص 641 .

[5] محمد إبراهيم أبو سليم ، المرجع السابق ، ص 27 .

[6] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 641

[7] الميجراف رونجت ، المرجع السابق ، ص 37 .

[8] زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص 39 .

1-تعليمه ورحلاته :

تلقى تكوين محمد أحمد تعليمه الأول في الخلوة [1]كما هو معروف في السودان ، حيث كانت مدرسة الغبش[2] في منطقة بربر هي السكان الذي يذهب إليه لاكتساب المعرفة .

تتلمذ على يد الشيخ محمد الخير[3] وبعد تمكنه في الدين بدأ يدرس العلوم الفقهية وبعد رحيله إلى كترانج تلقى تعليمه على يد الشيخ الأمين الصويلح في مسجد يدعى ود عيسى بالجزيرة[4] ، وحفظ القرآن الكريم في خلاوي كرري والخرطوم [5]، وبعد أن بلغ سن الثانية والعشرين أصبح واحدا من كبار مشايخ الطرق الصوفية والتي دخلت أثناء حكم الفونج عن طريق الحجاز ، وتأثر السودانيين بهذا الاتجاه [6]وعند بلوغه سن السادسة والعشرين ، ، هاجر محمد أحمد مع إخوته محمد وحامد وعبد الله الذي سمته باسم والده على عادة أهل السودان في شتى أرجاء البلاد ، حيث هاجر إلى جزيرة أباء وقام ببناء مسجد للتعبد وخلوة للتدريس ، حيث تجمع عليه سكان تلك الجزيرة ، وأصبح له أتباع كثر كانوا من العرب البادية وغيرهم ، فكان الزهد العبادة حيث يجلس إليهم ويحدثهم عن الزهد والإصلاح نظرا لمكانته الشخصية وشهرته في مجال الزهد والإصلاح والعبادة ، وصار أحد أتباع الطريقة الخلوتية (السيمائية) [7]التي سلكها على يد الشيخ القريشي الشريف

---

[1] مكان يختلي فيه الصوفي بنفسه للتعبد والاستزادة في التقوى ، للمزيد أنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تح عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1919 م ، ص 1278 .

[2] تجاه البربر وقد كان فيها عند فتح إسماعيل باشا لسنار مدرسة شهيرة لتعليم القرآن وآداب العربية ، وهي المدرسة التي تفقه فيها محمد أحمد المهدي قبل ادعائه المهدية ، للمزيد أنظر : محمد مهدي كركوري ، المرجع السابق ، ص 314 .

[3] محمد ابراهيم أبو سليم ، المرجع السابق ، ص ص 27-28 .

[4] شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص 321 .

[5] محمد مجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881-1898 م) ،دار الجيل ، بيروت ، 1987م ، ص 50.

[6] عبد الرحمان الرافعي بك ، المرجع السابق ، ص 93.

[7] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 322 .

نور الدائم واحد من قادة الصوفية ومشايخهم المشهورين الذي لقته مبادئ الصوفية ، عاش معه سبع سنوات في مركزها بسبب تأثره بالتصوف[1] ، بعد تمكنه وتعلمه للعلوم النقلية[2] .

لقد كانت حياته بسيطة متواضعة، حتى إذا ضاقت نفسه في مأكلها خرج إلى النيل يصطاد السمك [3].

وفي سبيل الرزق أراد أن لا يبقى عالة على إخوته فاحترف أول مرة بيع الخشب في سوق الخرطوم ، وذات مرة غدت إليه امرأة تساومه في الحطب تريده للسروج الذي يحول إلى خمر فيما بعد ، فأنفق ما عنده منه وترك بيعه نهائيا واشترك مع غيره من الأقارب في تجارة الذرة وأصبح يتجا ران بها ولم يدوم الحال على هذه المهنة حتى تخالف مع شريكه في قضية البيع والشراء ، حيث يريد محمد أحمد بيع الذرة في الحال والشريك يريد التريث حتى يزيد السعر ويرتفع فاختلفا في الرأي وباع محمد أحمد قسيمة من الذرة بالسعر الحالي وانتهت شراكتهما[4].

2-صفاته :

كان محمد أحمد طويل القامة واسع الجبهة عريض الوجه ذات البشرة سمراء ، واسع الفم عريض الشفين عظيم المنكبين ضخ العظام واسع الكفين والقدمين ، شعر رأسه قصير

[1] من الناحية الفعلية منهج ومذهب في الحياة يعبر عن نفسه بالتطهر والترفع عن الصغائر الدنيا وعرض الدنيا الزائل، للمزيد أنظر : محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، 1900-1969، تق هنري رياض وأخرون ، الدار السودانية للكتب ، السودان ، ص 12 .

[2] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 110 .

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 322 .

[4] فرار صالح ، المرجع السابق ، ص 111 .

مستدير اللحية ، يرتدي عمامة كبيرة ذات اللون الأبيض شبيهة عمامة دول الخليج لباسه الجية .[1]

3-أخلاقه :

تتمثل اخلاق محمد أحمد كما وصفه إسماعيل عبد القادر الكردفاني :<كان رائع البشر سهل الخلق ... لا بغياب ولا مداح ...يتفقد أحوال أصحابه ويسأل عنهم ، فمن كان غير حاضر دعا له ومن كان حاضرا زاره ومن كان مريضا عاده ...أعم الناس شفقة على خلق الله ورأفهم بهم ، يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الأرض ويتناول الطعام مع الخادم ويحمل اغراضه بنفسه من السوق ، يرغب في التطيب ويحب الثياب الواع ...عرف منذ أول نشأته بالجلوس منفردا والانفراد عن الناس ...

4-عائلته :

أما إخوته فله ثلاثة إخوة محمد وحامد وعبد الله وكلهم ماتوا في المعارك ، أما أقاربه فهم : السيد أحمد شرفي حموه وعبد القادر ودساتي علي ومحمود أمير ومحمد عبد الكريم والخليفة شريف[2] .

5-زوجاته :

تعددت زوجات محمد أحمد حيث أطلق عليهم اسم أمهات المؤمنين من بين زوجاته نذكر : عائشة بنت إدريس تزوجها في جبال قدير بعد وفاة زوجها في إحدى المعارك الطاحنة ، وامرأته الثانية كانت تدعى فاطمة بنت أحمد شرفي الدنقلاوي حرم

[1] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 938 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ص 938-941 .

أخيه محمد الذي توفي أيضا مقتولا في إحدى المعارك، أما زوجته الثالثة فكانت فاطمة بنت الحاج وهي إحدى أقاربه إحدى بنات عمه وله منها ثلاث بنات [1].

5-تعاليمه :

كان من ركائز تعاليمه أن يعبد الدين كما كان عليه السلف الصالح ويقصد به صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين [2].

3-ثقافته الدينية :

انتشرت كتب التصوف والفقه بين أوساط المثقفين والمرشدين في البلاد السودانية إضافة إلى مؤلفات كثر ، كما تواردت عدة شخصيات بارزة في التصوف من بينهم على سبيل الذكر الإمام الغزالي والشعراني وابن عربي [3].

حيث أن محمد أحمد بحكم قراءته للكتب التصوف وتأثره بها في ظل الجو الصوفي خاصة في القرى والأرياف وفي أضرحة الأولياء الصالحين والمساجد وغيرها ، اكتسب وتربى وتشبع بالثقافة الدينية وسلك الصوفية[4] لثقافته من باب جانب منبع الشخصية والمنبع العلمي الشرعي ، كما أن هناك منبع أخر لثقافته حيث لم يتوقف المهدي عن التوجيه الروحي النقي ، ولم يتجاهل الفقه ومبادئه بل إسفاده من علم الشريعة وكذلك من التصوف [5].

---

[1] إبراهيم فوزي باشا ، السودان بين يدي غوردون وكتشر ، ج2 ، مطبعة الآداب والمدينة ، 1319هـ ، ص ص 67-68 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 941 .

[3] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 642 .

[4] نفسه ، ص 643 .

[5] عبد الماجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية –السودان من نشأتها حتى العصر الحديث الدين الاجتماع الأدب ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1953م ،-1969 ، ص ص 131 -133

زيادة على هذا هناك منبع أخر لثقافته المتمثل في المنبع الوهابي نسبة لمحمد عبد الوهاب والسنوسي مؤسس الطريقة السنوسية ، بعد موت إدريس الفاسي أصبح محمد بن علي شيخ الطريقة والتي أصبحت تعرف بالسنوسية .[1]

فلقد كان لهذين الاتجاهين السنوسي والوهابي تأثير واضح في السودان [2] .

4-إتجاهات ثقافة المهدي :

نظرا لتكوين المهدي وتعليمه واحتكاكه برجال ومشايخ الصوفية تمكن من اكتساب والإلمام بثقافة الدينية وثقته بنفسه ، جعل من ثقافته أن يسخرها في عدة أغراض ومن بينها نذكر على سبيل الحصر :

أولا-إيجاد فئة من المجتمع السوداني بأكمله ذات توجه ديني كبير .

ثانيا –تكوين روابط وثيقة متينة وطنية بين الأفراد السودانيين [3].

الهدف الأول :

في عهد حكومة الفونج كانت الروابط الروحية التي أنشأها المشايخ والدعاة نجحت في تشكيل تجمعات دينية صغيرة تشبه الدوائر الصغيرة ا الجماعات ، لكنها لم تصل إلى مستوى الاتحاد الشامل وبالتالي لم يكن هناك تجمع سوداني كبير بأتم المعنى ، أما العهد التركي فإنه " أزاح الفوارق التي كانت قائمة بين المملكات الصغيرة في السودان والغارات والحروب التي ظلت سائدة بين كل قبيلة وأخرى .

[1] نفسه ، ص 134 .

[2] كراري صالح ، السنوسية والمهدية دراسة فكرية للحركتين ، مجلة الدراسات الإفريقية والسودانية ، ع 3 ، جامعة الخرطوم ،معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية ، 1979م ، ص 9 .

[3] عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص 124 .

أما فيما يتعلق بالمهدي كان من الطبيعي أن يكون قد نشا في بيئة دينية وتربى على ذلك ، ومنذ البداية بدأ بتطهير نفسه من العبودية والتركيز على العبادة وهدفه هو جعل السودان بأكمله مجتمعا دينيا كبيرا ، وفي فترة الحكم التركي لم يكن السودان مجتمعا كبيرا ، بل كان هناك تنوع في المذاهب الدينية والطرق الصوفية والديانات المختلفة وفي ذلك الوقت كان هناك مجتمعا علميا كبيرا يتمتع بإدارة وحكومة موحدة .

أما المهدي فكان تراوحه أفكار أكثر من ذلك فكان يطمح إلى شمل السودانيين على دين واحد ومذهب واحد وطريقة واحدة [1].

وعلى هذا أراد ان يبطل المذاهب الفقهية الأربعة المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي والعمل وإتباع مذهب من اجتهاده الخاص[2] ، وعمل على تجمع الجميع في عدد قليل من الكتب و إتباع القرآن الكريم لكي يتجنب الناس الخلاف والجدل حول وجهات النظر المختلفة التي يشعر بها المسلم العادي بشكل مرهق [3]، كما عمل له جمع أموال الشور والزكاة والغنائم من الناس ويودعها في بيت المال ، ضف إلى هذا أراد توسيع نطاق العبادة والتعليم الديني[4].

الهدف الثاني :

يتمثل الهدف الثاني الذي رسمه المهدي في جدول أعماله ، أنه أراد أن يجعل من المجتمع الديني مجتمعا متماسكا ذات رابطة قومية واحدة ، بحيث أن يحس كل فرد من أفراد المجتمع السوداني ذات انتماء اسلامي يتعزز بدينه وهويته وعاداته وتقاليده .

[1] نفسه ، ص 123 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 609 .

[3] عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص 126 .

[4] نفسه ، ص 127 .

ربما كان توجيه المهدي نحو تبسيط الحياة يهدف إلى هدف أبعد بكثير من الهدف الأول ويقصد به هدف اسلامي ، حيث رأى أن البيئات السودانية مثل البيئات العربية في شبه الجزيرة العربية والبيئات البربرية في شمال إفريقيا جميعها بيئات بسيطة .

لم تكت تتحمل أعباء الحضارات المعقدة ولهذه البيئات تراث ورثه العرب والسكان الاصليون منذ القدم ، وذلك أصبح التمثل يتعلق بشكل خاص باللغة العربية والدين الإسلامي والهوية العربية والثقافة المستعربة ، وإذ سمح لحضارات غربية بالتسلل إلى هذه البيئات فقد يتعرض البلد ومكوناته للتدهور ، وبهذا الصدد حاول المهدي كما حاول بعض شيوخ الصوفية من قبله أمثال الشيخ الجزائري إبن مدينة مستغانم محمد بن علي السنوسي من قبله ، إذن يمكن لكل شخص في بيئته الخاصة أن يتبنى هذا المنهج ويسهل الحياة قدر استطاعته ، ويعيد الناس إلى حياة الإسلام كما كان في عهد السلف السابق ، وبهذا يهدف المهدب غلى تعزيز أسس الوطنية في المجتمع السوداني.[1]

المبحث الثاني: الدعوة المهدية وتأثيرها على محمد أحمد .

1-شيوخه في التصوف :

نشأ محمد أحمد نشأة مميزة وخاصة في مجال التصوف ، بعد تجاوزه مرحلة الأكاديمية إن صح التعبير ، ففي هذه المرحلة من حياته كانت الطرق الصوفية لعبت دورا كبيرا في الأمة السودانية بمختلف فوارقها ، مما أفضت إلى بداية إخطافه نحو التصوف فاندفع بكل حماسة وإصرار وإنخراطه في إحدى الطرق الصوفية في ظل تواجد هذه الطرق خاصة منها القادرية أم الطرق وكذا الختمية والسيمانية وغيرها ، وبهذا انظم في سك الصوفية لأنه لم يكن هناك غبرها مكان للتعليم والدراسة .

[1] عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص 129 .

ومن أبرز المشايخ الذين تأثر بهم نجد :

أ-الشيخ نور الدائم : هو الشيخ محمد شريف نور الدائم نقيب الأشراف وشيخ المشايخ والقطب البارز في الحركة الصوفية[1]، وحفيد الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة السمانية في السودان [2]، فتسارعت خطوات الشيخ محمد أحمد في مسار الطريق الصوفي حيث تلقى تعليمه من الشيخ محمد الشريف الدائم لشهرته ، وقضى العديد من السنوات منقطعا ومتسعا للعبادة والصلاة ملازما ما تحت خدمة شيخه بأي عمل يكلفه منه مبالغا في احترامه وتقديره ، حتى كان من كثرة حيائه وتقديره لشيخه كان لا يرفع رأسه عند مجالسته شيخه إلا إذا حدثه.

فكان كالطفل " بين يدي القابلة ... والميت بين يدي غاسله ، كما يقول الصوفية ...لذلك لفت نظرة ذلك الشاب وأحبه شيخه وجعله شيخا ورقاه في سلم ومدارج الطريقة وأجازه إعطاء العهود وتسليك الطريق "أي بمعنى أنه أصبح يخلق شيخه وإعطائه راية العلم الديني في حالة غياب شيخه [3].

إلا أن هذه المكانة والدرجة المرموقة التي وصل إليها محمد احمد بفضل شيخه زالت فيما بعد بسبب تدهور العلاقة بينهما مما أدت إلى زوال رابطة الالفة والمودة بين الشاب الشيخ محمد أحمد وشيخه بسبب الخلاف الذي حدث بينهما .

واختلفت الروايات والأقوال وتضاربت الآراء في تفسير أسباب وملابسات هذا الخلاف وتعليله .

[1] عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، ط2 ، مكتبة الآداب، مصر،2001م، ص 24 .

[2] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 52 .

[3] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 24 .

فالشاطر البصيلي يذكر في حديثه قولا منسوبا إلى الشيخ محمد الشريف بأن سبب العداء بينه وبين محمد مرجعه إلى أن قد نهاه عن دعوته بالمهدية .

أما توفيق أحمد البكري يذكر سبب أخر للخلاف بينه وبين أستاذة يرجع في جملته أن شيخه أسرف في إقامة الملاهي المختلفة من رقص وغناء وزغاريد النساء والإماءة والمجون والشرب في بيته بمناسبة ختان أولاده ، وهذا لم يعجب ولم يرضي محمد أحمد بهذا الأمر وندد بكل ما راه وطلب من أحبابه ومريديه ألا يتفاعلون ولا يشتركون فيه قائلا " إن الشريعة تمنع الرقص والغناء والشراب واللهو والمجون ...وليس في وسع أحد إجازتها ولو كان إماما وشيخ طريقة[1] .

حيث أصدر الشيخ فتوى شرعية بأن كل الذنوب التي ترتكب في أثناء الحفل مغفورة فاعترض على ما أنكره محمد أحمد بالاعتذار وهو يتذلل أمام التلاميذ والأتباع ويطلب الصفح ، ولكن الشيخ لم يتساهل معه وأخذ بلعنه وقام بطرده وواصفا إياه بالخيانة والخروج على شيخه بعد أن أقسم يمين الولاء ، ثم قام بعدها مباشرة بشطبه من السجلات ومح اسمه من قائمة الأتباع المذكورين في الطائفة السمانية ، وأمام هذا الموقف أخذ محمد أحمد يعتذر من أستاذه لكن دون جدوى .

وبعد اقتناع محمد أحمد بأن علاقته مع شيخه قد زالت وانتهت ، فقرر الرحيل واجتذب إلى الشيخ القريشي ولب دعوته ورحب به وأكرم دعوته وولائه[2].

وأشاع أن محمد أحمد قد عزم على الرحيل وانفصاله عن شيخه ، هنا شعر محمد شريف بأنه من غير الطبيعي أن يخسر ويفقد أحد تلاميذه ، وبينما محمد أحمد يهم بالمغادرة

[1] نفسه ، ص ص 25-26 .

[2] ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، تر عزالدين محمود ، دار الشروق ، مصر ، 2006م ، ص ص 38-39 .

كتب له شيخه بدعوته إليه وقبول اعتذاره وأن يزيل تلك الشحونات والنفور ، إلا أن محمد أحمد رأى في ذلك بأن الوقت قد فات فاعتذر شاكرا وقرر الرحيل نهائيا واتجه نحو الشيخ القرشي وجدد له العهد [1].

يقول أنصار محمد أحمد إن جذور العداء تكمن في تحول الناس بعيدا عن محمد شريف وتميلهم نحو محمد أحمد من خلال العقيدة والتبعية[2] .

ب–الشيخ القرشي ود الزين : هو أحد مشايخ الطريقة السيمانية المناوئين للشيخ محمد شريف ، وقد أخذ الطريقة رأسا من الشيخ أحمد الطيب البشير مباشرة [3].

وكان صوفيا في منهجه ومسلكه ، وقد وجد في محمد أحمد القادم إليه بعد خصومة شديدة مع الشيخ محمد الشريف الذي لم يكن للشيخ القريشي وفاق معه ، عدم قبوله له من شيخه فرحب به القرشي وراه في ذلك بأنه "مستخفا ومنع المستحق ظلم "وقام باستدعائه [4].

حيث وجد عنه الشيخ القرشي اهتماما ومناخا أكثر قربا إلى نفسه كما بدأ يشعر بحب الناس والتفافهم حوله فزاده شدة ارتباطه وتعلقه بشيخه القرشي الذي كان بلغ من عمره السن السبعين[5] ، كما رأى القرشي بأن الفتى الجديد كسبا له ولطريقته وربما سيكون خليفة له في مركزه في المستقبل للطريقة السمانية ، وقد تزوج محمد أحمد ابنته وهو الزواج الثالث في حياته وولد منها ابنه علي المهدي ، بعد أن أوحت فكرة الزواج لمحمد أحمد من شيخه لتقوية العلاقة بينهما ، إذ جاء في الروايات إلى أن الشيخ القرشي قال :"أديته

[1] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 28 .
[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 325 .
[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 30 .
[4] نفسه ، 62 .
[5] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 29 .

بنتي " أي زوجته بنتي ولعلى محمد أحمد قد وجد في مصاهرة الشيخ مايقوي مركزه في وضعه الجديد [1].

وبعد ذلك اللقاء الحافل بالتطورات بين محمد أحمد وشيخه خاصة في تطور العلاقة بينهما ، عاد إلى جزيرة أبا وفي أثناء عودته لقي الكثير من الناس يعترضون طريقه ويتدافعون عليه من أجل إكرامه وإهدائه الهدايا .

فكان يقوم بتوزيعها على المساكين والفقراء على أهل تلك البلدة زاهدا في الدنيا وعزوفا عنها .

كما كان يتعبد في غارا في أبا بعد أن قام بحفره في باطن الأرض والاختلاء فيه ، كما زار قرية رفاعة وكان يصلي بالناس وذات مرة صلى بالناس صلاة المغرب وقراءة سورة " القارعة : في الركعة الأولى وعندما وصل في قراءاته إلى الآية قوله تعالى " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث " وقع مغشيا عليه فخلفه أحد تلاميذه الذين كانوا يهرعون إليه عند سماعهم بقدومه وهذا خير دليل على أن محمد أحمد قد أصبح شيخا ذائع الصيت في تلك المنطقة ، وأن صلاحه أصبح معروفا لدى الجميع[2] .

كما كانت له رحله وزيارة إلى مدينة كردفال ومدينة الأبيض تحت راية الشيخ القرشي بهدف نشر تعاليم طريقته وخاصة مدينة الأبيض الذي رأى فيها ميدان خصب لنشر طريقته التي يبشر بها ولقى بذلك قبولا وأكثر المناطق استعدادا لتقبلها ، وهو في العقد الرابع من عمره [3]، وبهذا أصبح له كثير من مريديه مما زادة في لفت انتباهه للناس وعمل جاهدا في استغلال نفوذه ليوسع من دائرة نفوذه .

[1] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، 62 .

[2] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص ص 62-63 .

[3] نفسه ، ص ص 63-68 .

وبعد عودته من الأبيض تصادف مع الكثير من الأحداث كان منها وفاة الشيخ القرشي ويقال أن الشيخ القرشي[1] قبل وفاته كان قدر رأى في ذلك الشاب الورع التقي الشخص المناسب الذي سيخلفه ، نظرا للصفات التي كان يتميز بها والتي تؤهله ليقود قومه وأتباعه في أمور دينهم ودنياهم [2]، كما أوحى وأشاد فيه لفكرة المهدي المنتظر ، إذ ينسب إليه قوله " أديته بنتي وفرسي وأنا موعود أنه فرسي ده يركبه المهدي وشيخته وأديته الإجازة "

أما محمد أحمد وهو لايزال الشيخ الصوفي ، وما إن سمع بوفاة شيخه القرشي سارع وهو إلى طيبة وشرع في بناء فيه لشيخه الجليل .

وبهذا يمكن القول أن فترة اتصاله بالشيخ القرشي من سنة 1878م حتى عام 1880م ، قد اتسمت من جهة امتداد لحياته الصوفية الأولى ومن جانب أخر كانت مرحلة الانتقال الفعلي والحاسم من شخصية الرجل الصوفي إلى المهدي [3].

2- المهدية: النشأة و التطور :

1-1/ الفكرة : فكرة المهدي والمنفذ فكرة ذات جذور ودلالات بعيدة في التاريخ الانساني [4]، حيث وجدت فكرة المهدية تربة خصبة في العالم الاسلامي و أصبحت معتقدا عاما رغم وجود نص قرآني صريح عن المهدي و رغم أن الأحاديث الدينية و النبوية عنه على كثرتها لم ترد في مصادر الأحاديث المشددة مثل مسلم و البخاري[5].

[1] نفسه ، ص 70 .

[2] ونستون تشرشل ، المصدر السابق ، ص 40 .

[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص ص 62-68-69-70.

[4] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 11 .

[5] ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، بيروت ، 1967م ، ص ص 555 -575 .

و تتلخص الفكرة في الاسلام أن الله يرسل في آخر الزمان رجل يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلم وجورا ويقيم الدين حنيفا ، و على كثرة الأحاديث الواردة في أمر المهدي المنتظر وصفاته وزمانه و مكانه غير أنها لم يرد ذكرها في كتب الأحاديث الصحيحة في ضبط الرواية ، و لكن جاء ذكرها في بعض كتب الأحاديث الأخرى غير المتشددة في صحة تخريج الاحاديث والتي أفاضت في وصف المهدي المنتظر وشروطه وأوان ظهوره .[1]

حيث جاء في كتاب " الفتوحات المكية " لابن عربي عن المهدي المنتظر :« أعلم أيدنا الله وإياك أن الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا..." " يخرج على فترة من الدين يزرع الله به ما لا يزرع بالقرآن ، يسمى الرجل جاهلا بخيلا جبانا فيصبح أعلم الناس أكرم الناس أشجع ... ، الناس يمشي النصر بين يديه... " " يبيد الظلم و أهله ، يقيم الدين ...، يعز الاسلام به بعد ذلة ويضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف ما كان ،... يرفع المذاهب من الأرض ، فلا يبقى إلا الدين الخالص ...، يفرح به عامة المسلمين أكثر من خاصتهم ، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف وتعريف إلهي »[2]

حيث أن المهدية تتمحور حول النهوض والإصلاح السياسي والديني ودفع الطغيان والاضطهاد ، و بذلك فهي ذات دلالة بعيدة من ناحية الاجتماعية و السياسية لأنها من إحدى المظاهر المناهضة للنظم القائمة فهي بذلك بمثابة طريق السبيل للمضطهدين و المغلوبين على أمرهم[3] .

ارتبطت فكرة المهدية في العالم الإسلامي بالحركة الشيعية التي ركزت على شرعيه الخلافة في ذرية سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، بعد استعمال لفظ لكلمة

[1] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص ص 11-12 .

[2] مكي شبيكة ، تاريخ الشعوب ، المصدر السابق ، ص ص 642-643 .

[3] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص11 .

المهدي في حديث الرسول " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين " وأخذت فكرة المهدي تتطور على أيدي الشيعة حتى اختصت باسم المهدي لعلي وحده [1] .

وقف عدد من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية في الحديث عن المهدي المنتظر ومكان ظهوره ، فبعضهم قالوا أن المهدي يظهر بمكة ، بينما عارض طرف آخر وفند ذلك وقالوا أنه يظهر ، بالمشرق وطرف آخر اي أبدى رأيه بأنه سيظهر بالمغرب ومثل هذا الرأي المغاربة ، إلا أن هذه الفكرة وجدت طريقها إلى السودان [2]عبر الطرق الصوفية الكبيرة السيمانية والمعروفه بـ الخلوتي وكذا القادرية أم الطرق[3]

جاء المتصوفة بالفكرة فكرة المهدية وصاغوها في القالب الذي يوافق مشربهم إلا أن فكرة المهدي و جدت أثارها عند مهدي السودان ، محمد المهدي بن عبد الله[4].

1_2/ المهدية في السودان :

في ظل سيطرة الأفكار الصوفية في السودان إلا أن مثل هذه الحركات لم يكن له صدى واسع ومؤثر فعال و مباشر بين أوساط أهالي السودان [5] ، حيث أن فكرة المهدي قد وجدت رواجا وأذان صاغية في كامل أرجاء السودان في الربع الأخير من القرن 19م ، و أن الكثير من الأهالي وساكنة البلاد السودانية باتوا ينتظرون ظهور المهدي بعطف وحماسة [6].

و هذا راجع إلى الاتصال السودانيين من التجار والحجيج بغيرهم من المسلمين من جهة ، فبعض القبائل هاجرت إلى السودان لمقابلة المهدي المنتظر الذي ذاع صيته في المنطقة ، و بالفعل تتداخل وتتفاعل عدد كبير منهم في حركة المهدية السودانية مما

[1] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 17 .
[2] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 12 .
[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 20 .
[4] نفسه ، ص 20 .
[5] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 24 .
[6] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 19 .

جعل و أدى إلى تضارب أراء بعض المؤرخين حول فكرة المهدية ودخولها إلى السودان من الجهة الغربية من غرب إفريقيا[1].

و من جهة أخرى فقد سمع المسلمون في السودان كغيرهم من المجتمعات المسلمة بفكرة المهدي المنتظر، وخاصة من لهم دراية بهذه الفكرة.

كما أن هناك مصدر خاص حيث أن أثر حركة الجهاد الفلاني التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديوق بنيجيريا كانت أقوى في بعض الأقاليم وخاصة في دارفور و كردفال على غرار الأقاليم الأخرى من السودان [2]، فبعدا أن أصبحت هذه الفكرة معتقدا عاما في غرب السودان أفضى إلى انتقاله إلى شرق السودان [3]مما أفضى الى ظهور مدعون للمهدية أمثال حما الذي أعلن مهديته في عام 1813م تحت تأثير الأقوال وانتشارها في السودان الغربي [4].

فبعد رواج هذه الفكرة ظهر بعض رجال التصوف أمثال اسماعيل الولي بن عبد الله مؤسس الطريقة الاسماعيلية ، و وضع مؤلفين وهما رسالته المسماة باللمع البادئ عن كشف الختم والإمام الهادي ، وكتاب معاني الكلام ووجيز النظم في معرفة سيدي الإمام المهدي والختم ، وقد ذكر يوسف أحمد محمد عوض السيد في "نصيحة الحق" وسماه جامع الكلام ووجيز النظم في معرفة سيدي الإمام المهدي.

أما الكتاب الثاني ينسب إلى مؤلفه إبراهيم الأمين بن علي المشهور بالكباشي أحد شيوخ الطرق القادرية وهو بعنوان المهدي المنتظر [5].

---

[1] نفسه ، ص 24 .

[2] نفسه ، ص 16

[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 25 .

[4] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 18 .

[5] نفسه ، ص 19 .

يرجع أول خبر عن المهدية في البلاد السودانية حسب ما ترويه المصادر ما كان من أمر محمد النحلان المعروف بحمدود الترابي المتوفي سنه 1705م ، و كان رجلا صالحا بين أتباعه ، فأعلن مهديته في مكة أثناء تأديته مناسك الحج فاستغل الأحاديث النبوية حول ظهور المهدي بمكة[1].

3- محمد أحمد مهديا :

بعد وفاة الشيخ القرشي سنة 1880م /1297هـ ، كان قد أورث السلسلة الطيبة لمحمد أحمد ، وكان يثني عليه أمام أتباعه ، فقويت شوكته و كثر أنصاره و قد بالغوا في محبتهو تعظيمه حتى لحق بهم القول أن قالو في كتب طريقتهم أن المهدي يكون منهم [2]ويقال أيضا أن الشيخ القرشي " تنبأ بأن يكون المهدي من تلاميذه و أنه يبنى فوق قبره قبة و أنه يختن أولاده "[3]

في هذا الوقت المنتظر يترقب ، وباستعداد الكثير من السودانيين بعد أن فتحت الطرق الصوفية أمامهم ، للمهدي المنتظر بدء الدعوة لإحياء الدين [4]، فكانت تلك المحطة بمثابة بداية الطريق إلى المهدية في النصف الثاني من القرن 19 م[5] .

جاء في المنشورات الدعوية كما يذكر المهدي أنه قبل تنفيذ أمر المهدية ، كان يدعو الناس إلى تأسيس الدين والعمل وفق أحكامه ، ويقدم نصائح للحكام وينصحهم[6] ثم بدأ يتقرب من أصدقائه المقربين في الطريقة السمانية ، وقد أرسل لهم هذا الخطاب الذي وجهه إلى محمود البصير في الجزيرة : « و بعد فجزيل السلام على عزيز المقام سيد الكرام ... الشيخ ممد خليفة جدنا البصير ... لا يخفى عزبز علمكم أن الأمر الذي نحن

---

[1] نفسه ، ص 18 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ص 236-237 .

[3] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 21 .

[4] مكي شبيكة ، المرجع السابق ، ص 646 .

[5] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 75 .

[6] محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 24 .

عليه لابد من دخول جميع المؤمنين فيه ... و في ذلك ابتداء واسطة أبونا الشيخ القرشي ... والأوامر أخذت بالخناق إلى محل للتأييد والتمهيد لإحياء الدين ، وصرنا مشغولين بهذا الحال ... والأمر الذي دهمنا من الله ورسوله عاهد على القيام به نحو عشرين ألفا والبشارة ن الله ... حتى يظهره الله تعالى والسلام »[1] .

كذلك يذكر في قوله: « مع أنني كنت أستبعد ذلك لنفسي و أنتظر المهدي أن أكون له عونا و خادما لتأييد السنن النبوية »[2]

عوامل و ظروف دعوته:

لم يتبنى محمد أحمد فكرة المهدي المنتظر من محتوى الكتب فهذه الفكرة متجذرة هناك منذ فترة من الزمن ولكنها نشأت بسبب ظروف المجتمع تحت الحكم الأجنبي [3]، إلا أن القاعدة العريضة والمبدأ الأساسي لدعوة المهدي تجلت في القمع و البطش والظلم بجميع أشكالهما ، و ظهر هذا بوضوح عندما إنهار النظام الشامل الذي أسسه غوردون [4] [4] ، فأراد أن يتحرر من واقع الظلم بشكل شامل وتحت مظلة واسعة شكلت أساسا جديدا للتماسك ، يتخطى كل الروابط المحدودة ، الإقليمية ، العرقية ، واللغوية[5].

بالإضافة إلى هذا توجد عدة عوامل ساعدت على تمهيد الأرض له ، من بينها أيضا نجد ما توصل إليه الدكتور مكي شبيكة إلى حقيقة وجود مؤلفات الشيخ محي الدين العربي من الإشارات إلى ابن العربي وخاصة كتابه المشهور " الفتوحات المكية " في إحدى منشورات أحمد محمد المهدي ، فقد أثبت مكي شبيكة ذلك من خلال الرواية التي

[1] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص ص 646-647 .

[2] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 14 .

[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 34 .

[4] إف أرونجت ، المرجع السابق ، ص 37 .

[5] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 34 .

وجدها في كتاب " أزاهير رياض " لشيخ عبد المحمود نور الدائم وفيها دليل على وجود هذا الكتاب في أيدي متصوفة ذلك العصر [1].

إن من بين الأفكار والأحاديث التي تم تأكيدها من قبل قادة الصوفية حول مسألة المهدي ، راح محمد أحمد يأخذ منها ما يناسب مع ظروف تنبيه لقضية المهدي من حيث نسبه وصفاته ومكانة ظهوره وعلاماته [2]، ضف إلى ذلك تنشئته وتكوينه الصوفي على مشايخه أمثال الشيخ القريشي الذي كان إحدى المحطات البارزة الذي مهد له طريق للمهدية [3]، وخير دليل على أن التصوف جعل منه إماما مهديا منظرا [4].

إلى سيما أن محمد أحمد قد استغل حديث شيخه القريشي قبل وفاته ، في كلامي على المهدي فقال:" أن من يختن أولادي ويبني قبة على ضريحي سيكون هو المهدي فالتقطها محمد أحمد بواسطة أذنيه الحساستين وإحساسه والحساس ... سيكون هو المهدي...؟ ولم لا أكون أنا ؟ إن أمر تشييد القبة ليس بالصعب وختان الأولاد أكثر سهولة و بما أن الثمن المطلوب هو المهدية ، فلماذا لا أكون أنا المهدي [5]"

ومن باب آخر نجد أن المفكر المصري الدكتور محمد عمارة يبدي رأيه في ذات السياق أن معاناة التي عاشها السودانيين تحت وطأة الحكم الأجنبي لقد لفتت أنظار محمد أحمد وامتزجت في عقله وقلبه بروح التصوف مما فرض نفسه كدور المخلص للبلاد بأكملها ، ومن بين ذلك قوله: « وسواء أكان محمد أحمد قد أدرك أن تحقيق غاياته لابد له من طاقة عاطفية وشحنة روحية تهز قلوب المؤمنين وتذهلهم عن الروابط والقيود التي تشدهم إلى الدنيا ومتاعها فيسرعون بسوط الخارق المعجز إلى الانخراط في حركته

[1] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 48 .
[2] نفسه ، ص 48 .
[3] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 217 .
[4] نفسه ، ص 231 .
[5] نفسه ، ص 134 .

الإصلاحية ، فاخترع أنه المهدي المنتظر اختراعا و أن الرجل قد امتزجت في عقله وقلبه ونفسه معاناة شعبه ، و أمته بالصوفية التي صنعت لروحه شفافية زادت منها رياضاته ففجرت فيه كإنسان طاقات غير عادية ولا متطورة فرأى ما لم يره الآخرين وما أنكره عليه الكثيرون»[1].

استغل نسبه إلى أهل البيت حيث جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي »[2]، ولهذا فالرؤية المركزية عند المهدي هي فكرة المهدي المنتظر ، و هي لم تنشأ فجأة بشكل أسطوري من داخل رأسه بل سبقتها فترة استعداد وتكوين في مساره العلمي ، وكذا فترة من التأمل الفلسفي الذي استخدمه في ورقه التراث ومسارات الحياة[3].

كما أن ظهور المهدي كانت لها جذور ضاربة في التاريخ رسخها في القلوب أحاديث نبوية صحيحة ، ومأثورات مشهورة عن الأولياء والصالحين تنبأت بظهور المهدي ورشحت السودان مكانا وحامت حول الزمان [4].

ومن بين العوامل أيضا التي مهدت ليكون المهدي المنتظر له حد قول نعوم شيقران محمد أحمد لما كان يخرج سائحا مع بعض أصحابه لإبلاغ الناس بطريقته ، كان يرى الناس يرغبون في التخلص من الحكومة السائدة ، و اصرارهم في التخلص منها ، حتى كان عامة الناس يتمنون ظهور المهدي الموعود به ليخلصهم من الواقع المشؤوم حتى

[1] محمد المصطفى موسى عبد الله حامد ، الأصداء العالمية للثورة المهدية ، ط1 ، دار المصورات ، السودان ، 2020م ، ص 65 .

[2] محمد بيومي ، المهدي المنتظر وأدباء المهدية ، ط1 ، مكتبة الإيمان ، مصر ، 1995م ، ص 210 .

[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 88 .

[4] يوسف حسن ، الدين والسياسة في السودان ، ط1 ، دار الأمين ، مصر ، ص 2001م ، ص 61 .

لحق بهم الحال أنهم كلما رأوا رجلا يفضلهم عقلا ودراية وله الغيرة على الدين ظنوه المهدي[1].

وهكذا تهيأت وتعددت الأسباب فأصبح ظهور المهدي ظهورا منتظرا كانتظار الهلال في موعده ولذلك جاء التجاوب معه سريعا [2]كما يقول سمارك الامبراطور الألماني: " إن الناس يبالغون كثيرا في تأثيري على الأحداث التي عرفت فقط كيف أستغلها"[3]

4_ دعوته:

مرت دعوة محمد أحمد بمرحلتين هامتين يمكن إبرازهما على النحو التالي:

أ_ الدعوة السرية:

كان اتصال محمد أحمد الشيخ القريشي الفضل في شهرته و أصبح له مريدين وذاع صيته كثيرا بين قبائل المنطقة [4]وبعد وفاة الشيخ القريشي عاد محمد المهدي من الخلاوي [5] وبدأ يخرج سائحا مع بعض أصحابه لإبلاغ الناس و دعوتهم إلى الله[6] و بدأ بالقيام بالمراسلات بين رجال الدين من مشايخ الطرق و علماء الشريعة وكانت كتاباته في بأدي الامر تلميحا دون أي اصرار[7] حيث تضمنت أولى رسائله التي أرسلها لأخصائية أن فيها فيها تباشير والدعوة للاستعداد للقيام بالأمر نيه قوام الدين ، منها رسائله التي أرسلها إلى إبراهيم محمود وأخرين قائلا له: " لا يخفى عليكم عزيزي أننا ندعو إلى الله وفي هذه المرة قد بلغ الأمر الخناق و صارت التوبة وافية داعية إليكم ظاهرا و باطنا للسحر الأبدي، و

[1] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 227 .
[2] يوسف حسن ، المرجع السابق ، ص61 .
[3] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ، ص 14 .
[4] محمد سعيد قدال ، المرجع السابق ، ص 63 .
[5] إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ص 76 .
[6] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 327 .
[7] مكي شبيكة ، السودان ، المصدر السابق ، ص 254 .

الخروج عن الشقوة ، و أننا قد أرسلنا إلى كافة المحسنين و أعددنا كم من أول القائمين التاجرين ، فالملح على الجواب الذي أرسلناه وأت إلينا سريعا بأهلك ، و جماعتك، و إخوانك و كل من له محبة في الدين ... "[1]

كما بدا يتصل بأصحابه و مريديه و خاصة تلاميذه بسرية تامة و في مقدمتهم عبد الله التعايشي في شعبان سنه 1297هـ/1880م [2] ،وكذا كان من أتباعه عبد القادر الكردفاني[3] وبهذا تمكن من جعل ذلك أساسا لدعوته ودخل في طور جديد في اتصالاته السرية[4] ودعوتي للناس للمهدية سرا .

باعت قبيلتان من الأعراب النازلين حول جزيرة أبا وهما من قبيلة دغيم وكنانة[5] ، وكان السبب وراء انضمام هاتين القبيلتين إلى دعوته هو الخليفة علي بن حلو الذي كان يتولى الحكم في جزيرة آبا بعد محمد أحمد ، وهناك قد وعد العديد من موظفي الحكومة السودانية بالالتزام بتوفير المعلومات ، وقد اجتمع له زهاء ثلاثة ألاف رجال من البدو وعمال الحكومة [6]، كما قام بإرسال العديد من المنشورات إلى صديقه محمد الطيب البصير وغيره .

من خلال هذه الوثائق نعلم أن محمد أحمد سيقوم بأمر يتعلق بإحياء الدين ، حيث تم كتابة رسالة الخيرة بضرورة السفر والاجتماع به ، وأمر أخوته بعدم التعاقد على بناء مراكب جديدة ، بل أن ينهو العاملات التي يديرونها حاليا .

---

[1] عامر زناتي ، <محمد أحمد المهدي سيرة ومسيرة 1844-1881م >، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ، مج 5 ، ع 9 ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2020 ، ص ص 4-20 .

[2] عبد الرحمان الرافعي بك ، المصدر السابق ، ص 94 .

[3] عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص 137 .

[4] محمد إبراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية ، المصدر السابق ، ص 32 .

[5] يقال لهم البقارة ، وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ما شبيتها من البقر ورجالهم معرفون بالشجاعة ، للمزيد أنظر : فوزي باشا إبراهيم ، المصدر السابق ، ص 76 .

[6] نفسه ، ص 76 .

وأثناء تواجد محمد أحمد في كردفان قام بالاتصال شخصية بارزة في العاصمة الأبيض وهو الشيخ محمد المكي بن إسماعيل شيخ الطريقة الإسماعلية ، وأعلن محمد أحمد للمثقفين من رجال الدين أنه هو المهدي المنتظر وقد قوى هذا الادعاء بما راه في الرؤي والأحلام ، بالإضافة إلى ما جاء في الأحاديث في ذكر المهدي عن هذا العالم والاهتمام بالعالم الأخر ، حصل سدا من أتباعه الجدد يمين يؤدونه بالولاء أو بيعة يبايعونه فيها على الولاء والطاعة ، وسلمهم صورا مكتوبة منها للاحتفاظ به إلى حين الإعلان وإظهار أمره ، وفي طريقه متجها لآبا قدم له العهد كثير من رجال الطرق الدينية وشيوخ القبائل المتنقلة [1]، وكذلك عاهد الملك أدم أم دبالو ملك مملكة تقلي وهي مملكة إسلامية في جبال النوبة وتحدها بلاد النوبة الوثنية[2] .

كانت هذه مرحلته الخفية لدعوته للانضمام إلى المهدية [3].

ب-مرحلة الدعوة الجهرية :

بعد أن قام المهدي بإخفاء دعوته في بداية الأمر وأصبح له عدد كبير من المؤمنين به من الشخصيات ذات النفوذ الديني والاجتماعي والتجاري ومن الناس الذين كاتبهم بمواثيق [4]، وبدأ يتحدث إلى أصدقائه وتلاميذه وشيوخ الطرق الصوفية وزعماء العشائر معلنا بإظهار دعوته جاهدا بها، فأعلن الأمر على المقربين فقد جاء في كتابه " جهاد في سبيل الله " الإمام المهدي للمؤرخ القدال في كتاب " جهاد في سبيل الله " ، أن الفقيه محمد الصادق أحد تلاميذ الشيخ القرشي ذهب مع الشيخ عبد الرحمان لزيارة الإمام المهدي في جزيرة آبا في رجع عام 1298هـ ، وقد ضمهم مجلس خاص في 18

[1] هولت ، الدولة المهدية في السودان ، تح جميل عبيد ، مج أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربي ، لبنان ، 1978م ، 60

[2] مكي شبيكة ، السودان ، المصدر السابق ، ص 254 .

[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 55 .

[4] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 81 .

رجب أخبرهم فيه المهدي بأنه يود أن يكسف لهم أمرا هاما بعد أن يعاهدوه على كتمانه فأخبرهم بأنه المهدي المنظر وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنه المهدي المنتظر "[1]

فبايعه الناس وكانت المبايعة على الصورة الأتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم و الصلاة على سيدنا محمدا و آله التسليم أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله و ألا نشرك بك أحدا ولا نسرق ... ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن لا نفر من الجهاد »

طريقة المبايعة تتم على وجهين :

* الأول باليد : بأن يضع المبايع يده في يد المهدي ، جاعلا ابهامه على ابهامه ، ثم يقرأ المهدي صورة المبايعة ، فيعدها المبايع بعده وإن كانوا أكثر من واحد إلى العشرين وضع يده في يد المهدي ، ألقى الباقون أيديهم فوق يديهما .

* والوجه الثاني : المبايعة باللسان ، وذلك متى زاد المبايعون على العشرين ، فيرقى المهدي إلى منبر ، أو يركب جملا ويقف الناس أمامه ويبايعونه [2].

وأرسل إلى جميع الأشخاص الذين عاهدوه بالطاعة منشورا مختوما بخاتم يحمل نقشا لاسم محمد أحمد بن عبد الله ، وفيه قال في طالعه بعد قراءة البسملة والحمد لله :

« جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومكة ومعه الخلفاء الراشدين والأقطاب والخضر عليه السلام ، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر ، وأن الترك كفار وهم أشد الناس كفرا لأنهم ساعون في اطفاء نور الله ، ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني

[1] نفسه ، ص 81 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 349 .

صلى الله عليه وسلم بأن النصر يسير يدي أربعين ميلا وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدى الأولياء والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام إلى زمننا هذا ، ومؤمني الجن يجاهدون معي ، ولا يهزم لي جيش ، وأن الله ناصري ومؤيدي على كل حال ما جرني من الثقلين ، وأن أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم ، وعاصمتهم أكبر مقاما في دار الخلد ...»[1]

وختم مشوره بالحث على الهجرة إليه ، ومغادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه .

تم اعلان محمد أحمد في الأول من شعبان 1298هـ- 29 جوان 1881م أنه هو المهدي في جزيرة آبا ، ودعا الناس للإيمان به [2]، فرحب به أهل السودان إعجابا بظهور المهدي بكل سرور و إعجاب ، مرددين الأقوال التالية : على أنها أمثالي أو أغاني أو أناشيد :

هواي هواي أسير المهدي قدير بشائر الخير جاءت لنا واليوم ظهر مهديا

وجاء قولي صواب ، خنق قميركم غاب ألف في التربة ، ولا قرش خردة في طلبة ود الريق شين جابه حربه ، وكوكاب في جعابه [3].

[1] إبراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ص ص 77-78 .

[2] محمد المصطفى موسى ، المرجع السابق ، ص 66 .

[3] عبد الله حسن ، المرجع السابق ، ص 277 .

الفصل الثاني : الثورة المهدية بزعامة "محمد المهدي"

(1881-1885م)

المبحث الأول : الثورة المهدية في مرحلتها الأولى

(1881-1885م)

1-عوامل ظروف قيام الثورة

2- مراحل ونتائج الثورة

3- عوامل نجاحها

4- مصير قائدها

1-عوامل وظروف قيام الثورة :

قبل التطرق لشرح تفاصيل الثورة المهدية [1]وأسبابها ، من الضروري أن نقدم بعض التعليقات العامة عن الثورات ، فالثورة هي الاستياء من وضع الشيء والتمرد على القيود الموجودة [2]، والهياج والانقلاب والتغيير والانتشار [3] .

ويثور الانسان كما تثور فئة قليلة وقد يثور الشعب بأكمله ولكن ثورة الفرد قد تحدث فجأة ، حيث يشعر بالاستيلاء والكراهية والقصب اتجاه شيء ما فيحاول التخلص منه أو تجاوزه وعند ما يزداد الغضب ويتصاعد الغليان في الشخص وتصبح الحالة غير قابلة للتحمل ، يفقد الانسان سيطرته وهدوءيه .

وعادة ما تحدث الجماعات يعد سنوات حوادث ولها أسباب قديمة وغير مباشرة لذلك لا يمكن أن تحدث ثورة جماعة أو أمة في نفس الوقت الذي تحدث فيه الثورة فرد واحد ، وبالتالي للثورات أسباب كثيرة ومتنوعة ومتجمعة والثورات في حالة إلى القادة والزعماء ، فليس هناك ثورة عامة في العالم إلى ولها زعماء وقادة ، كما لها دعاة منفرون ومبشرون منفرون من الحالة القائمة ، ومبشرون بالحالة المنشودة الحسنة التي تحل محلها[4] .

وفي معرض استكشاف عوامل وظروف قيام الثورة المهدية .

---

[1] هي الثورة التي قادها محمد أحمد المهدي بداية من عام 1881م ، حيث مرت هذه الثورة بفترتين تميزت الفترة الأولى منها بنشر الدعوة والفترة الثانية بالهجوم على العاقل الهامة للحكومة المصرية التركية ، للمزيد أنظر : عبد الله عبد الرزاق ابراهيم وشوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص ص 321-322 .

[2] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص ص 214-215 .

[3] محمد عمارة ، الاسلام والثورة ، ط3 ، دار الشروق ، مصر ، 1988م ، ص 11 .

[4] عبد الله علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 26 .

فقد تحدث المؤرخون عن اسباب انتشار الثورة المهدية وذهبوا فيها إلى مذاهب شتى [1]، كما أن هناك اسباب متعددة بعضها يتعلق بالموقف الداخلي لظروف السودان الداخلية وبعضها يتعلق بالموقف الدولي بصفة عامة وبعضها يرجع إلى ظروف مصر السياسية والاقتصادية في أواخر عصر اسماعيل وأوائل عصر توفيق [2].

وبهذا يمكن أن نصوغ هذه الأسباب على النحو التالي :

أ-داخليا :

1-الدافع الديني الاجتماعي :

يشير مكي شبيكة أن التحرك الأول للثورة هو الاعتقاد الديني وشخصية المهدي[3] .

-لعقيدة الدينية لم يكن هناك تجمع بين قبائل السودان المتنازعة إلا فيما يتعلق بالدين الاسلامي ، وكان المظلمون يتعقدون أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى عن استمرار الظلم ولا يرضى عن الظالمين وأنه لا بد مرسل إلى المظلومين رجلا نقيا لينقذهم من الظالمين ، وقد توارثت الاخبار المنقولة من بعض الكتب الدينية والمتداولة من أحاديث عامة ، أن هناك رجلا عظيما يدعى " المهدي المنظر " الذي يخلصه من المظالم [4].

-عدم رضا بعض الطوائف الدينية وإلى بعض زعماء الدين في المجتمع السوداني [5]

-التصديق بأنه هو المهدي الذي يبشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، خلع على زعامته نوع من القداسة .

---

[1] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية ، المرجع السابق ، ص 26 .

[2] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ، ص 366 .

[3] مكي شبيكة ، السودان عبر ، المصدر السابق ، ص 366 .

[4] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 216 .

[5] محمد بن أحمد اسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص 308 .

- دور مشايخ الطرق الصوفية الذين شكلوا مرجعية بالنسبة للمجتمع السوداني كله في صياغة صورة المهدي المنظر فبثوا الافكار في تلاميذهم واتباعهم ففي ذلك الوقت كان الشعب السوداني يتبع العقيدة الاسلامية بشكل كبير من خلال الطرق و متابعة الشيوخ ، كما كان يعطي أهمية كبيرة للكرامة والعادات القديمة وكان يعتقد أن مخالفة الوالي الصالح قد تؤثر به أخرته وقد تسبب ضرار في حياته الدنيوية [1].

-دور الصوفية التي هيأت اذهان الناس لقدوم ذلك البطل وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد سعيد القدالي :" وهذا واقع موضوعي بقيت في كنفه المؤسسة الصوفية ميلاد الضعيف وأمل المحروم ، فهي الشيء الظاهر في أفق الحياة السودانية الضامن ونمت في حجر ذلك الواقع فكرة المهدي المنتظر وترعرعت ، فهي أكثر الأفكار إضاءة في ذلك العصر .

-عرض الأراضي الاسلامية في العالم للسيطرة الاستعمارية الصليبية واصبحت فريسة في قبضتها ، مما نتج عنه تعصب وحقد وكراهية [2].

-بساطة المجتمع السوداني وقوة تماسكه بالدين والتقاليد .[3]

-التجربة التي كانت يعيشها طائفة الختمية وقبيلة الشايقية [4]من ذلك النظام على حساب المجموعات الأخرى[5] .

---

[1] مكي شبيكة ، السودان عبر ، المصدر السابق ،ص ص 217-218 .

[2] عبد الودود شلبي ، المرجع السابق ،ص 14 .

[3] جلال يحي ، المرجع السابق ، 366 .

[4] هي قبيلة سامية تدعى انتسابها للعرب عن طريق الشيخ شايق ابن حميدان وهم يسكنون ضفاف النيل ، للمزيد انظر : الميجر اف ، المرجع السابق ، ص 189 .

[5] عبد الله علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 26

-على حد قول بعض المؤرخين أن المهدي أراد تطهير الاسلام في كامل البلاد الاسلامية والرجوع به إلى نقاوته الأولى كما كان في عهد السلف الصالح [1].

- تدمر رجال العلم والدين على تسلل العيوب في أورقة المجتمع الذين انتقلوا إليه [2].

-وجود استجابة دينية سلبية تجاه تدفق الاجانب إلى السودان وتوليهم السيطرة على شؤون المسلمين ، وقد اعتبروا ذلك انحرافا عن الدين ، ولا سيما أنه صاحب هذا التدفق من الأجانب للسودان نوع من الاباحة والانهيار الأخلاقي .

ويذكر الحسن العبادي أن من بين اسباب الثورة هو الضغط الاوربي على العالم الاسلامي

-اثارة الجمهور السوداني برسالة دينية ينتظرها العالم الاسلامي بشغف خاصة عندما تدهورت الأخلاق وبطل العمل بالشريعة [3].

-ضعف جهل الأهليين وسرعة تصديقهم للخرفات والاوهام واعتقادهم من قبل بقرب ظهور المهدي المنظر فأقبلوا على دعاوي محمد أحمد يصدقونها ويؤمنون بها دون تفكير ولا تحقيق[4] .

أما في الجانب الاجتماعي لم يكن هناك سلوك خاص للحكام يرضى الجمهور ، حيث كانوا لا يلتزمون بتعاليم الاسلام ، ويشربون الخمر علنا ، ويترددون في الاماكن المشبوهة وأصبح الحكام المعروفون بالترك في عدد الكفار واصبحت كلمتي الترك والكفار مترادفتين في المعنى [5].

[1] زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص 135 .
[2] عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص 99
[3] مكي شبيكة ، تاريخ الشعوب ، المصدر السابق ، ص 673 .
[4] عبد الرحمان الرافعي ، المصدر السابق ، ص 89 .
[5] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 34 .

إلى جانب هذا حيث يرى إنكليز أن ظهور المهدي هو أحد الاحداث المترافقة مع انتفاضات العالم الاسلامي فرأى المهدي أن كل انتفاضة في العالم الاسلامي كانت تستمد معانيها من الدين ، كما أخذ الشعب السوداني ورجال العلم والدين يعتبرون .

يقول ابن خلدون في قوله بأن :" العرب لا يحضر لهم الملك إلا بصيغة دينية في نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة[1] .

-تدهور الاوضاع الداخلية في السودان ،" فقد شاهد محمد أحمد فيما شاهد أرواحا مهدرة وحريات مغتصبة وأملاكا منهوبة ..والناس أثرياء ساقتهم تيارات النعيم إلى الشهوات والغواية ، وبين فقراء طحنتهم الفاقة ..." ثم إن حكومة القاهرة أرسلت إليهم أمثال بيكر وغوردون وهؤلاء النصارى لا يدينون بدينهم ، وكان أسلوبهم في الحكم موسوما بالتحدي بالشعائر الإسلام وفرائضه حتى تصور الناس أن الحكومة تريد بيهم شرا وبدينهم[2] .

-كما أضعف الحكم المصري المؤسسة القبيلية ، فقد اصبحت تخضع للسلطة المركزية دون أي تحفظ وهذا يتعارض مع طبيعتها كمؤسسة تعبر عن واقع المجتمع الرعوي القبلي والتمتع ببعض الاستقلالية ولم يدرك زعماء القبائل الذين قاتهم التحول الجديد هذا أنهم لم يعدوا جزءا من السلطة القبلية فحسب بل وجدوا أنفسهم يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية هام بعضهم يتسول في طرقات المدن باحثا عن قوت يومه .[3]

-وجود مجتمع منتشطي لا يزال في مرحلة التحول من النظام القبلي إلى التنظيم الحكومي الموحد بأنظمته يعارض هذا المجتمع الثقافة الغربية الوافدة إليه [4].

[1] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 21
[2] محمد بن احمد اسماعيل ، المصدر السابق ، ص 312 .
[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 20
[4] محمد سليم محمود محاسيس ، المرجع السابق ، ص 29 .

2-الدافع السياسي :

-فساد الأوضاع الداخلية في السودان " فقد شاهد محمد احمد فيما شاهد أرواحا مهدرة ، وحريات مغتصبة واملاكا منهوبة وبلادا مخربة والناس بين أكرباء ساقتهم تيارات النعيم إلى شهوات الغواية ، وبين فقراء طحنتهم الفاقة ففقدوا زمام التحمل بالصبر ، وانحرفوا على قلى ذات اليد إلى الفساد والهاوية إن الحكومة القاهرة أرسلت إليهم أمثال غوردون وهؤلاء النصارى لا يدينون بدينهم ... حتى تصور الناس ان الحكومة تريد بهم شرا "[1]

-العنف فقد كان من مظاهر القهر السياسي والاستبداد التركي أدى إلى تراكمات من الفتن بالإضافة إلى حملات الابادة الجماعية في العهد التركي

المصري بداية من سنة 1820م .[2]

-سياسة التمييز والمحابات حيث استاء الأهالي من ممثلي الحكومة باتباعهم سياسة المفاضلة بين القبائل الموالية للحكومة .[3]

-حرب الاستقلال : لقد كانت هناك قبائل متمتعة بالاستقلال فحرمها الحكم المصري[4].

3-الدافع الاقتصادي :

-الضرائب : لما فرضت الحكومة الضرائب على أهالي السودان ، لم يكونوا معتادين عليها فاستغلوها لانهم لم تكن موزعة بالقسط ، بل كانت مرهقة للفقراء وخفية على

[1] محمد بن أحمد اسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص 99 .

[2] علي عادل وداعة عثمان ، ا"لمنطلقات السياسية والدينية النعارضة في عهد الخليفة عبد الله (1885-1898م)" ، مجلة النيل ،ع 18، جامعة سنار ، 2021 م ، ص 36 .

[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 36 .

[4] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص ص 216-217 .

الأغنياء [1]، اضافة إلى ذلك أن المسؤولين لم يكتفوا بجمع الضرائب الرسمية ، بل فرضوا على الاهالي اتاوات غير رسمية يحصلونها من الضرائب .[2]

-منع تجارة الرقيق [3]: لعله من الأسباب الأولى لقيام الثورة المهدية هو تشدد الحكومة في منع النحاسة والاسترقاق ، وكذلك تدمر التجارة من الاسلوب العنيف الذي اتخذه غردون لمنع تجارة الرقيق ، وفرق جمع التجار وعاقب البعض بالقتل والبعض بالسجن وحجز الأموال ، مما اعتبروا هذا الخطر ظلما وشعروا بأنهم فقدوا جزء أساسي في بناء حياتهم والذي يعتبر من أنظم المهن في بلادهم [4].

-تعاون الحكمة المصرية والانجليزية في إلغاء الرق وعقدوا معاهدة الرقيق في 4 أوت 1877م ، جاء فيها أن :" أن الرق سينتهي بعد مرور 12 سنة على تاريخ توقيع المعاهدة وقد نصت على :

-منع تصدير الرقيق

-استخدام الرقيق المحرر في أعمال مناسبة

-اعطاء الطرادات البريطانية حق تفتيش السفن المصرية في البحر الأحمر [5] .

-احتكار الحكومة العاج وهو بمثابة مادة اساسية تجارية في السودان حيث استولت الحكومة على الارباح الهائلة ، التي كانت تعود لا صحابها من اهل التجارة والحرفة وهذا ما اثار غضب وسخط الناس على الحكومة[1] .

---

[1] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 316 .

[2] محمد بن اسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص 316

[3] أنظر ، الملحق رقم 4 ، ص 422 .

[4] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 216 .

[5] زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص 88

ب -خارجيا :

كان من بين قيام الثورة المهدية عوامل خارجية أيضا تتمثل في :

-الثورة العرابية في مصر حيث كان لثورة " أحمد عرابي > دورا بارزا ودافعا لقيام الثورة المهدية ، فهي التي اعطت الضوء الاخضر للمهدي السوداني وفتحت امامه الطريق للثورة ، مما أفضت الجماهير السودانية بضرورة كسر قيود الذل والعبودية ، فقد اشتعلت الثورة المهدية بعد أشهر قليلة من الثورة العرابية[2].

-أطماع الدول الاوربية فتلك المناطق لم تحظى باهتمام انجلترا فحسب ، بل لقت أنظار بعض الدول الأوربية ، خاصة منها فرنسا وإيطاليا ، ففرنسا بسطت يدها على ميناء أبوك الواقع على خليج عدن في عام 1862م ، مما رأى السودانيين أن الوضع أصبح يشكل خطرا عليهم .[3]

-الضرائب السياسية والاجتماعية في العالم الاسلامي فقد نشأ المهدي السوداني في هذا الزمن الذي تعرض فيه العالم الاسلامي للغزو الصليبي ، وأصبح فريسة في يده .

كان لهذا الغزو أثر في نفوس السودانيين وما نتج عنه من تعصب وحقد وكراهية ، مما ولد رد فعل عنيف وقيام الثورة .[4]

2-مراحل ونتائج الثورة :

لقد مرت الثورة بعدة مراحل ترتب عليها نتائج نلخصها في :

---

[1] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 217 .

[2] محمد بن أحمد إسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص 313 .

[3] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ، ص 367 .

[4] عبد الودود شيلي ، المرجع السابق ، ص 14 .

- واقعة أبا 2 أوت 1881م: وهي أول معركة انتصر فيها المهدي[1] أول الهزيمة من نوعها التي عرفتها الحكومة التركية المصرية طيلة عشرات السنين.

ويقول الدكتور عبد الودود شلبي :" كانت هذه الواقعة هي الشرارة التي أشعلت النار في السودان كله، وقد تبوأ المهدي، بعد سحقه لقوات الحكومة قمة الزعامة الروحية والوطنية،[2] واثر هذا الانتصار رفع معنويات أتباعه واعتبروا كرامة من كرامات المهدي ودليلا حيا على صدق مهديته.[3]

- واقعة راشد بك 2 سبتمبر 1881م: وهنا قرر المهدي بإعداد خطة لمهاجمة راشد بك في مدخل الغابة التي تقع عند أطراف قدير وهو الطريق الوحيد الذي كانت تسلكه قوات راشد بك، وأمر بترتيب الجيش وتسوية الصفوف، وأرسل مجموعتين من الفرسان للاستطلاع والمطاردة [4]وبعدها وقف بين أصحابه خطيبا فحرصهم على الجهاد ورغبهم فيما أعده الله للمجاهدين،[5] ولقي راشد حتفه وأسر 111 من رجاله وغنم المهدي جميع أسلحة الحملة وذخائرها وقتل نحو 1400 من رجال راشد.[6]

- معركة يوسف الشلالي 29 ماي 1882:تولى جيكلر باشا[7] النمساوي الحمدراية وقرر بعث هذه الفترة للقضاء على المهدي بقيادة يوسف الشلالي مكونة من ثلاثة عشر بلوكا من الجند النظامي ألف وخمسمائة رجل وعند سماع المهدي باقتراب الجيش هجم عليهم

[1] عبد الرحمن الرافعي بك، المصدر السابق، ص 95.

[2] محمد بن أحمد اسماعيل المقدسي، المصدر السابق، ص 339.

[3] محمد ابراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص 34.

[4] نعوم شقير، المصدر السابق، ص341.

[5] اسماعيل عبد القادر الكردفالي، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تح محمد ابراهيم أبو سليم، ط2، دار الجيل لبنان، 1982، ص153.

[6] عبد القادر الكردفالي، المصدر نفسه، ص 154.

[7] جيكلر باشا ألماني الجنسية التحق بخدمة الحكومة المصرية في صف مهندس وعينه غوردون باشا نائبا له حكمدار عام 1880م، أنظر محجوب مالك، المرجع السابق، ص39.

بمجموعة حاشدة يبلغ عددها حوالي خمسة عشر ألف وباغتوا الجند ليلا،[1] وقتل يوسف الشلالي وغنم المهدي أسلحة الجيش وذخائره، وقد كان هذا الانتصار هو الأعظم الذي حققه المهدي حتى الآن، وسبب قلقا عظيما للحكومة وجعلها في موقف حرج أكثر من السابق، في الوقت نفسه أعطى هذا الانتصار زخما كبيرا للثوار.[2]

-**حملة هكس** : لقد توالى انتصارات المهدي وسقوط الابيض في قبضته ازداد إصرار الحكومة المصرية في القضاء على الثورة المهدية ، في الوقت الذي اخمدت فيه الثورة العرابية بعد احتلال إنجلترا مصر في 14 سبتمبر 1882م [3]، واصبحت مصر تحت قبضة الإنجليز [4] .

ونظرا من خوف بريطانيا انتشار الثورة المهدية عملت جاهدة مع الحكومة المصرية للتصدي للثورة [5]، فأرسل الخديوي توفيق جيش إلى السودان بقيادة هكس[6] والذي تحرك بجيوشه في 8 سبتمبر 1883م بقوة حربية تعدادها أربعة ألبات مشاة قوامها 2000 جندي وخمس بلوكات سواري من الباشبوزف [7]واربعة مدافع .

أما المهدي فكان على علم بكل تفاصيل الحملة وأخبارها منذ تجمعها وتحركها عن طريق جاله ، وظلت تأتيه الاخبار وبدأ يشرف على التدريبات اليومية وعمه على تجديد المكان و الزمان للمعركة فوقعت عيناه على وادي شيكان فهو وادي كبير يعمر بالغابات الكثيفة [8]، ولما وصل جنود الحملة غلى وادي شيكان هاجمت فوات المهدي الجيش

[1] محمد سعيد القدال، القدال، المرجع السابق، ص 117.

[2] الميجرإف ونجت، المرجع السابق، ص54.

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 390 .

[4] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية ، المصدر السابق ، ص 38

[5] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 125 .

[6] أمل عجيل ، المرجع السابق ، ص 94 .

[7] هو الاسم لذي أطلق على القوات التركية الغير نضامية للمزيد أنظر : الميجرإف ، المرجع السابق ، ص 31 .

[8] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 128-129 .

المصري وقتل هكس وكل الضباط الأوربيين ولم ينجو منهم غلا القليل من الضعفاء الذي اختبوا بين الأشجار وتحت جثث القتلى [1].

وكان من نتائج هذه الحملة :

-مقتل هكس وكبار الضباط[2] وان حملة هكس تعد أخر قوة نظامية في السودان يمكنها أن تقضي على المهدي ، وبإخفاقها لم يكن هناك جيش أخر ليقوم بهذه الحملة إلا أن يأتي مرة ثانية في مصر وقي بريطانيا .

-تطور قوة المهدي العسكرية ونت نموا كبيرا معنويا وماديا بفضل غنيمته من المعارك[3] .

.

-إخلاء السودان عقب واقعة شيكان ، حيث اتخذت بريطانيا ذريعة إخلاء السودان وسحب السلطة المدنية والعسكرية والمصرية وتعيين غوردون حاكما على السودان سنة 1884 م[4] .

-حملة هكس كانت مدعمة من الضباط خريجي الأكاديميات الحربية العسكرية ، بينما السودانيين لم يكونوا من خريجي أكاديميات الحربية العسكرية ، تمكنوا من سحق الحملة وإبادتها على أخرتها [5].

-المهدي يغزو الخرطوم 22 جانفي 1884م :

[1] محمد المهدي كركوكي ، المرجع السابق ، ص 320 .
[2] امل عجيل ، المرجع السابق ، ص 94 .
[3] محمد سعيد قدال ، المرجع السابق ، ص 129
[4] عبد المجيد جنيدي ، المرجع السابق ، ص 108
[5] صاح محي الدين ، وقفات في تاريخ السودان ، ط3 ، مكتبة الهلال ، لبنان ، 1995م ، ص 121 .

بعد تعيين غوردون حكمدار لسودان بدأ في التصدي للمهدي والقضاء عليه[1] ، وبعد ان تحقق للمهدي جميع الانتصارات وانضمام عدد كبير من القبائل السودانية له لفت انظاره إلى مدينة الخرطوم وطوقها بالحصار [2]، وعقب هذا الدمار رأت بريطانيا اللورد والشيلي .Wols ley [3].

أما المهدي فلم يسارع في فتح الخرطوم بل شد عزمه على حصارها حتى تستسلم له دون اراقة الدماء وكتب منشورا لغوردون :" ... غوردون باشا عظيم اعلم أنني حضرت بالقرب من ام درمان بجيوشي وكن على يقين أنني أعلم من حضور عساكر الانجليز ، ولكنني لست مبالي بهم ولا بغيرهم ... ويكون لهم اسوة بجيوش هكس ... فسلم تسلم " [4]فكان جواب غوردون " لست أبالي بك ولا بجيوشك [5]... وسترى ما يحل بك وبجيوشك ..." فاضطر المهدي لمهاجمة المدينة في تمام الساعة الثالثة من صباح جانفي 26 بالإشراك مع قوات النجومي وأبو قرجة بهجوم تكتيكي منظور عرف لاحقا في علوم الأكاديمية العسكرية بمصطلح delporate dy attack[6] .

وتم تحرير الخرطوم في وقت قياسي ، كما دفع غوردون ثمن حياته لتلك المهمة التي جاءت أجلها ، وقد وصلت طلائع حملة الانقاذ بعد يومين من سقوط المدينة [7].

وكان من نتائج سقوط الخرطوم :

-جعل الخرطوم عاصمة للدولة المهدية[1] .

[1] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 690.
[2] محمد إبراهيم أبو سليم ، الحركة ، المصدر السابق ، ص 39 .
[3] عبد الرحمان الرافعي ، المرجع السابق ، ص 125 .
[4] مكي شبيكة ، السودان ، المصدر السابق ، ص 388 .
[5] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 515 .
[6] محمد المصطفى حسن ، المرجع السابق ، ص 174 .
[7] سيرجي سمرنوف ، المصدر السابق ، ص 136 .

-عمل المهدي على إدارة شؤون البلاد[2] .

-وضوح معالم السياسة الانجليزية تجاه السودان وبداية التدخل في شؤونها .

-استدراج جنرالات بريطانيين للقضاء على الثورة .

-استياء الرأي العام الانجليزي من الحكومة الانجليزية وأنها من وراء مقتل غوردون[3].

3-عوامل نجاحها:

كان لنجاح معارك ثورة المهدي عدة أسباب يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا-الشخصية الداعية والقائد محمد أحمد المهدي الذي كان عالما تقيا ونزيها وحاملا لعقيدة قوية .

-ادعاء محمد المهدي نفسه أنه المهدي المنتظر وكان السودانيون ينظرون بشغف ظهور هذا المنقذ[4] .

-كارزميته الامام المهدي كانت عنصرا فعالا لا من عناصر نجاح الثورة[5] ، مما ساهمت في جذب قاعدة شعبية عريضة مهيأة لقبول دعوته وتأييده .

---

[1] محمد سعيد قدال ، المرجع السابق ، ص 500 .
[2] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة ، المصدر السابق ، ص 40
[3] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ، ص 383 .
[4] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 218 .
[5] يوسف حسن ، المرجع السابق ، ص 60 .

-اهتمامه بتربية أتباعه وتطهير نفوسهم ، فقد غرس فيهم روح الزهد في الحياة الدنيا والتضحية بالنفس وبالتالي في سبيل الله .

ثانيا -العقيدة القتالية : كانت العقيدة القتالية للمهدي واتباعه هي السبب وراء انتصاراتهم المدهشة ، فهي تربط بين القائد وجنوده بأقوى رابطة .

ثالثا- طبيعة الاوضاع الداخلية والخارجية في السودان ، وما ترتب عنها من مظاهر القهر السياسي والجبروت والطغيان التركي والضرائب الباهظة وانتهاب خيرات البلاد ، كان له دور فعال في تحريك السودانيين للتمرد به هذه الأوضاع والالتفاف حول محمد المهدي [1].

رابعا - الثورة العرابية في مصر : لعبت هذه الثورة دورا بارزا في الثورة المهدية ، فهي التي أعطت المهدي السوداني إشارة وفتحت أمامه طريق الثورة .

خامسا - ضعف الحاميات المصرية بالنسبة لاتساع السودان ، كما أنها لم تكن محضة.

سادسا -تردد الحكومة المصرية في مكان الحزم والعزم لمكافحة الثورة [2].

سابعا-وحدة القبائل والعشائر حيث كان لتوحيد القبائل فكريا دورا بارزا في انتصار الثورة في بدايتها واستطاع المهدي أن يتعمق في المجتمع السوداني ومعرفة العوامل الخفية التي تسوده أو تعرف خصائص النظام القبلي[3] .

ثامنا -اتجاه الانجليز إلى إخلاء السودان من القوات المصرية خاصة بعد أن احتلتهم مصر وضعف الجيش المصري [1].

---

[1] محمد بن أحمد اسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص ص 379-401 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 319 .

[3] السني بانقا ، أضواء النظام القبلي والإدارة في السودان ، مطبعة الحكومة ، السودان ، 1960م ، ص 16 .

4-مصير قائدها :

يبدو أن الأيام لم تسمح للمهدي بتحقيق أهدافه الكبيرة في اقامة دولة اسلامية تعيد تأصيل تعاليم الاسلام في البلاد [2]، فبعد خمسة أشهر من تحرير الخرطوم رقد طريح الفراش [3]، ففي يوم الأربعاء 4 رمضان سنة 1885م -1302هـ ، نزلت بالمهدي حمى خبيثة تعرف في السودان باسم " باب دم " ، وعند الأطباء تعرف بالالتهاب السحائي الشوكي ، ويبدوا أنه بدأ يحس بالمرض قبل ذلك الوقت ، عندما أمر الخليفة عبد الله التعايشي بأداء صلاة الجمعة بالناس يوم 6 رمضان وأن يخطهم ، ودامت الحمى إلى غاية يوم الاثنين 9 رمضان 1302هـ / 22 جوان 1885م عند أواخر الساعة الرابعة وارتفعت روحه إلى الرفيق الأعلى وفارق الدنيا مطمئنا[4] ، وهو محاط بخلفائه وعائلته[5] ، ودفن عند الظهر في نفس الغرفة التي توفى فيها ، وبايع الناس الخليفة عبد الله التعايشي بعده ، وأشيع أن المهدي مات مسموما في الطعام ولكن الاشاعة لم تتحقق[6] .

وهكذا انطوت المرحلة الأولى من الثورة المهدية بوفاة المهدي عن عمر يناهز واحد وأربعون عاما ، بعد ما خرج لساحة المعركة وعمره لا يتعدى سن الخامسة والثلاثين من عمره ، ليقود حركة تحرر ناجحة في تاريخ السودان الحديث [7].

---

[1] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 219 .
[2] ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ، ص 173 .
[3] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 126
[4] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 306
[5] ابراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ص 62 .
[6] مكي شبيكة ، السودان عبر ، المصدر السابق ، ص 368 .
[7] محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ، ص 137 .

المبحث الثاني : امتداد الثورة المهدية في مرحلتها الثانية (1885-1890م) بقيادة عبد الله التعايشي .

1-التنشئة الاجتماعية :

ولد عبد الله بن السيد محمد بن الكرار في 1846م بجهة الكلكة جنوب إقليم دارفور في غرب السودان [1]، وهو الابن الأكبر لمحمد علي الكوار[2] ، الذي كان صاحب الكلمة النافذة والرأي المطاع في الدين ، مما أشتهر بالتقوى والصلاح وكان عالما بشتى العلوم منها علوم الفقه والتفسير[3] .

كما كان يلقب تبورشين أي الثوري القبيح[4] ، حيث دخلت أسرته هن طريق تونس وهم ينتمون إلى أل البيت [5].

ينتمي عبد الله التعايشي إلى قبيلة التعايشية [6]أحد أفاخذة قبائل البقارة ، وهي من القبائل التي اشتهرت بعد دخول العرب دارفور في القرن الرابع عشر ميلادي ، ترجع جذور انتمائه إلى هذه القبيلة إلى جده المدعو بعلي الذي استوطن بلاد التعايشية ، بعد زواجه من هذه القبيلة [7].

---

[1] ابراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ص 73 .

[2] الفحل الطاهر الفكي ، تاريخ اصول العرب والسودان ، ج 2 ، د د ن ، الخرطوم ، السودان ، 1971م ، 94.

[3] مكي شبيكة ، السودان ، المصدر السابق ، ص 381 .

[4] زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص 101 .

[5] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 75 .

[6] قبيلة عربية من قبائل البقارة ، اسم يطلق على القبائل القاطنة غربي النيل الابيض وهم بدو وأكثر اشتغالتهم برعاية البقر ، للمزيد انظر : مشايك يخي محمد لمين ، قضية دارفور وابعادها الاقليمية والدولية ، رسالة ماجيستر ، قسم العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، الجزائر ، 2013-2015م ، ص ص 20-21 .

[7] ابراهيم فوزي باشا ، المصدر السابق ، ص 73 .

أ – صفاته :

كان التعايشي يتميز بعدة صفات ربع القامة اسمر اللون رمادي الشعر ، يشبه المهدي إلى حد كبير في الوجه والملامح ، ولكنه كان أقصر بقليل منه ولحيته صغيرة ، أما في لباسه يشبه لباس المهدي ، بحيث كان يرتدي جبة مرقعة فوق سروال قنجة معروفة بالدمور ، وكان عمه مفلجة فوق المكاوية مدلات منها على كتفه الأيسر ويتلثم برداء رفيع اللون فوق العمة ، بحيث لا يظهر من تحته إلا دائرة وجهه ويلبس سبخة كبيرة حول عنقه ، كما كان مولعا بالتطيب والنظافة فكانت رائحة الطيب تفوح من ثيابه على بعد خطوات .

وفي أثناء تحركاته يحمل سيفا في يده اليسرى ورمحا في يده اليمنى وكان يعض خدمه يتبعونه [1].

ب –زوجاته:

كان لعبد الله التعايشي رغبة في حب النساء كسيد المهدي ، وقد تجاوز الحد في زيادة عددهن ، فكانت أربعة منهن شرعيات والباقيات كانت غير شرعية ، وأكثرهن من اللواتي قتلن في الحرب ، أما نساؤه الشرعيات هم زهرة التعايشية التي تزوجها من قبيلة التعايشة وزوجته الثانية كانت تدعى نفيسة بنت بابكر القاسمية والثالثة ام كلثوم بنت المهدي وزجته الرابعة السرة بنت وقيع الجعلية ، عاشوا معه حتى وافته منية [2].

د–أولاده :

[1] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 298 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ص 891–892.

رزق بإحدى عشر ولدا ، فأنجب من امرأته الأولى زهرة التعايشية ثلاثة أولاد هم شيخ الدين ويحي وخديجة ، رشح ولده الأكبر شيخ الدين لخلافته من بعده ، ولما كان عمر ثمانية عشرة سنة زوجه بابنة أخيه يعقوب .

ورزق من امرأته الثانية نفيسة بنت بابكر ثلاثة أولد أيضا يدعى كبيرهم عمر ، وقد رشحه ليكون أميرا على أخواله العباسيين ، كما كان له سليمان والفاضل .

وأما زوجته الثالثة أم كلثوم بنت المهدي أنجب منها أربعة أولاد محمد الطاهر ومحمد السيد والطاهر .

ومن زوجته السرة بنت وقيعالله كان له معها بنت تسمى زهرة [1].

هـ-أخوته :

لم يكن لعبد الله التعايشي الابن الوحيد عند أبيه بل كان له ثلاثة اخوت وهم يعقوب أخوه من أبيه وقد منحه أبوه بأن يكون وزير ووليل رتبة ورئيس مجلس شورى ، وأخوه الثاني كان يدعى أحمد السنوسي ، أخوه من أمه وأوحى له بأن يكون أميرا على قبيلة التعايشية والأخ الأصغر كان من أبيه وأمه جارية ويدعى هارون محمد[2] ، فكان لأخواته تنشئة دينية ورعين بالعلم والدين ، الا عبد الله فإنه كان ينصرف عن حلقات الدرس إلى الخلاء متأملا مفكرا تارة ومختلطا تارة أخرى بالمجتمع ودراسة مشاكله ، وكأنما قدر للثورة المهدية أن يقودها المهدي بعلمه وتفقهه في الدين حتى يكون روحها ومحركها ، لكن ادارتها والقيام بشؤونها ستكون من تصيب عبد الله التعايشي [3].

[1] نفسه ، ص 398 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 894 .

[3] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 381 .

فعبد الله لم يكن يهتم بتعاليم القرآن والكتابة كشأن أخوته الذين كانوا يلحون عليه بالمواظبة على الدراسة فمنعهم والدهم من ذلك وقال لهم دعوه فإنه سيكون له شأن عظيم في حياته [1].

و-هجرته للمهدي :

في سنة 1875م هاجر عبد الله وولده واخوته قاصدين الحجاز وفي الطريق توفى والد عبد الله ، وكانت قبيلته لا تبعد كثيرا عن جزيرة آبا ودفن في أبي ركبة وقبره ظاهر إلى الأن ، وتوجه عبد الله إلى أرض الجزيرة راكبا حمارا ، بعد تواليه أخبار عن محمد أحمد المهدي وما عرف عنه من زهد وتدين وانضباط اخلاقي فتحمس لرؤيته والتعرف عليه [2]، وقد كان عبد اله التعايشي أول المؤمنين بدعوة المهدي وأكثرهم اندفاعا لها [3].

2- مكانته في الدولة المهدية :

أسرة التعايشية شاركت في مقاومة الزبير رحمة [4]، ولما كان المهدي يعمل في بناء القبة التي أوصاه اياه شيخه القريشي قبل وفاته ، إذ دخل عليه رجل عليه رجل طويل القامة ، صلب الحجم فما وقعت عيناي التعايشي على محمد أحمد وقع مغشيا عليه ولم

[1] محمد محجوب ماك ، المرجع السابق ، ص 381 .

[2] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 382 .

[3] سيرجي سمرنوف ، المصدر السابق ، ص 121 .

[4] شخصية سودانية من مواليد 8 جوان 1831م ، وامتلك الكثير من الرقيق فأ مدهم بمختلف الاسلحة وكون منهم جيشا ، استطاع بفضله أن يؤسس مملكة لنفسه وان يهزم به عرب الرزيقات ، وقد استطاع بجيشه الخاص فتح دارفور مقابل من الحكومة المعربة ، انظر : عز الدين اسماعيل ، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، 1998م ، ص ص 303-312-313 .

يستفق إلا بعد ساعة من الزمن ولما أفاق عاد فنظر له المهدي مرة أخرى فأغمى عليه مرة أخرى [1].

ثم أفاق فقبل يده باليا فقال له المهدي من أنت يا هذا ؟ وما أمرك ؟فقال عبد الله " أنا عبد الله بن محمد تورشين ، من قبيلة التعايشية البقارة ، وقد سمعت بصلاحك إلى دار الغرب ، فجئت لأخذ الطريقة عنك وكان لي أب صالح من أهلي الكشف قال لي قبل وفاته أنك ستقاتل المهدي وتكون وزيره ، وقد أخبرني بها والدي بعينها ، فابتهج قلبي للرؤية مهدي الله وخليفة رسوله ، ومن شدة الفرح الذي شملني اصابني الذي رأيته .

لقد صادق هذا الكلام قبولا وتفضيلا في قلب " محمد أحمد "[2].

ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الله التعايشي الشخص الأول في قلب محمد أحمد المهدي ، فقد كان أول من أمن به من قدم له الدعم ، وكان مستشاره الأول ، واستمر تأثيره في الارتفاع مع تقدم المهدية ، وعندما قرر المهدي تعيين الخلفاء ، لم يتردد في جعل عبد الله التعايشي خليفته الأول[3] .

وعندما زادت الأعمال وتعددت جوانب الادارة وزادت الجيوش ، قام المهدي بترك ادارة الشؤون العامة لخليفته الأول وانشغل بأمور أخرى مثل كتابة الرسائل والمنشورات ، واصبحت شؤون بيت المال والقيادة العامة لجيش المهدي تتم بأكملها بين الخليفة عبد الله التعايشي ، ومن ذلك الجيش كان المهدي روح الحركة والثورة وعبد الله رجل الادارة والتنفيذ وقام كلا منهما بما غلبت عليه طبيعته فالمهدي رجل الدين والزهد والتصوف فما كان يختلط الناس إلا قليلا في شؤونهم الدنيوية ، فقد كان منهمكا في الدرس والتحصيل

[1] محمد احمد اسماعيل المقدم ، المصدر السابق ، ص ص 326-327 .
[2] عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 270 .
[3] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 382 .

وممارسة التصوف ، أما الخليفة عبد الله التعايشي رجل المجتمع السوداني ورجل النفوس البشرية ، فهو لم ينل إلا قليلا من العلم ولكنه نال كثيرا من معرفة شؤون الناس والدنيا ، فإذا كان المهدي رجل النظرية فالخليفة عبد الله رجل التطبيق[1] .

يذكر نعوم شقير في كتابه " تاريخ السودان " عن وفاة المهدي فيقول :ولما كان يوم الأربعاء في 4 رمضان 1302هـ ، أصابت المهدي حمى خبيثة تعرف باب دم وعند الأطباء بالالتهاب السحائي الشوكي .

وفي يوم الجمعة 6 رمضان أمر المهدي الخليفة عبد الله فخطب وصلى بالناس الجمعة[2] ، فقد أطلق المهدي على عبد الله التعايشي خليفه للصديق[3] .

فقد كان عبد الله التعايشي اليد اليمنى لمحمد أحمد المهدي [4]وبموت المهدي ترك الخليفة التعايشي حملا كبيرا مثقل بالأعباء ، فعليه أن يحافظ على هذا الاجماع الذي حضي به المهدي ، وعليه أيضا أن يعمل حسابا لانتقام إنجلترا وأن يحافظ على التراب السوداني من أطماع الدول الغازية[5] .

3-مبايعته وتوليه الحكم :

بعد دفن المهدي عقد الخليفة عبد الله التعايشي اجتماعا مع بعض الامراء والاعيان وخاطبهم قائلا :" يا أيها الاخوان إن المهدي الأن قد مات ، ولكن مات النبي قبله ، وقام

[1] نفسه ، ص ص 382-383 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 603 .

[3] ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ، ص177 .

[4] سالم بابكور ، اوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي ، الجمعية التاريخية السعودية بحوث تاريخية (سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية) ع 154 ، السعودية ، 2000 ، ص 4.

[5] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ، ص 385 .

الخلفاء بعده فأتموا عمله ، وقد ترك الخلفاء يتولون الأمر بعده وأنا الخليفة الأول فمن أحبه وأمن به فليبايعن الأن على السبيل الذي خطه لنا لنقتفي أثره ونتم عمله .[1]

أما الخليفة شريف ابن عم المهدي وقومه الأشراف ، فقد حاروا في امرهم ولم يدرك ما يفعلون ، وقالو في أنفسهم المقدمات المهدي وأسس مهديته فلماذا تولى علينا عبد الله لتعايشي وغريب الوطن والجنس ولا نتبع ترتب الملك فتولى ابن مؤسسها أو نوي ابن عمه .

ولكن لم يكن في وسعهم المجاهرة بهذه الافكار والقيام بحركة عدائية [2] ، لأن قوات المهدي في السودان كانت مقسمة ثلاثة رايات الراية الزرقاء راية الخليفة عبد الله والراية الخضراء يقودها الخليفة على الحلو والراية الحمراء يقودها الخليفة شريف [3].

ولما انتشرت أنباء عن وفاة المهدي وتنصيب الخليفتين وأقارب المهدي والأمراء للخليفة عبد الله ، هرع سكان أم درمان وضواحيها إلى منزله بشكل جماعي قاموا البيعة له ، وهذه صورة المبايعة :" بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على طاعتك والانقياد إلى حكمك "[4]

وقد اشتد التنافس على منصب الخلافة وانحصر بين عبد الله والأشراف من آل محمد المهدي وكان واضح منذ البداية أن عبد الله التعايشي سيفوز بالسلطة ويتجلى ذلك في أن المهدي قد عينه منذ أن كان في قدير خليفته الأول فأجلس عبد الله في كرسي أبي بكر وأجلس علي ودخلوا في كرسي الفاروق وأجلس محمد شريف حامد في كرسي علي وجعل

[1] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 671 .
[2] نفسه ، ص 642 .
[3] محمد ابراهيم أبو سليم ، بحوث ، المرجع السابق ، ص 48 .
[4] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 642 .

كرسي عثمان ذي النورين شاغرا ليجلس فيه محمد المهدي السنوسي[1] ، ثم بعث الخليفة إلى أمرائه وجميع قبائل السودان في الجهات الأربعة لتحديد البيعة له ودعى أهل الجهات البعيدة إلى حضور عيد الأضحى في أم درمان في 20 ديسمبر 1885م ، فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير وحضره أهل الجهات القريبة وقبل العيد بايعوه وعادوا إلى بلادهم [2]كما قام التعايشي بعد وفاة المهدي بتوزيع منشورات في جميع البلاد بأن المهدي قد مات وأنه قام في الامر بعده ، وقال إن موت المهدي يزيدنا احتقارا لهده الدنيا وحب الموت في سبيل الله [3].

وبعد البيعة قال لهم الخليفة عبد الله التعايشي ،" بعد التسليم والثناء على الله وعلى النبي يا أيها الناس اعلموا أن ضعيفكم عندي قوي حتى أخذ له الحق من القوى وقويكم عندي ضعيف أخذ منه الحق للضعيف " .

وبهذا أصبح الخليفة عبد الله التعايشي حاكما على السودان وبمجرد استلامه للحكم بذأ يوضع سياسته الداخلية للتصدي لكل القوى الخارجية الطامعة في هدم الدولة المهدية ومواجهته لمؤامرة الأشراف[4] .

فبادر بأعماله الادارية مباشرة فهيمن على الادارة المركزية في أم درمان ، فهو الذي يعين الحكام في المديريات ويشرف على بيت المال واعمال القضاء وينصب الجيوش ، واستعان الخليفة في تصريف شؤون الدولة بأخيه يعقوب وسطه مما أدى تمردهم عليه.

كما نشر جواسيسه في كل مكان وتخلص على كل من شك في ولاية له [1].

---

[1] بشير كزكز حميدة ، صفحات من التركية والمهدية ، دار الارشاد ، الخرطوم ، د ت ، 1969م ، ص 200 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 643 .

[3] نفسه ، ص 644 . .

[4] عبد الحميد جنيدي ، المرجع السابق ، ص 119 .

4-حروب الخليفة عبد الله :

بعد أن تولى عبد الله التعايشي الخلافة في الدولة المهدية ، واجه العديد من المشاكل ، وكان أصعبها الفتن الداخلية التي تجسدت في الحروب الدينية والثورات القبلية والاقليمية [2]وكان أبرزها :

أ-الحروب الداخلية :

1-تمرد الاشراف ومحاولة قتل الخليفة عبد اله التعايشي : تميزت العلاقة بين الخليفة عبد الله التعايشي والأشراف بالتوتر والاضطراب منذ حياة المهدي ، فالأشراف لم يكونوا راضين عن الوضع المتميز للخليفة عبد الله التعايشي ومكانته لدى المهدي ، ويعود السبب الرئيسي في ذلك هو التنافس على مقاليد الحكم ، وقد بدأت بوادر الخلاف في بادئ الامر حين ميز وقدم المهدي عبد الله التعايشي على الاشراف ونصبه خليفته الأول .[3]

على الرغم أنه ليس محل احترام وتقدير من أهل القبائل خاصة الاشراف منهم لأنه لا يمتاز عنهم بشيء وأقل منهم علما ومعرفة ، بالإضافة إلى اصدار المهدي منشورا في جانفي 1883م ، يحذر فيه أنصاره من التعرض لعبد الله ،كما قام المهدي بتكليف عبد الله بالجيش ومنحه صلاحيات كبيرة للتصرف في القضايا الادارية وغيرها ، أثار ذلك غضب الأشراف .[4]

---

[1] ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص 177 .

[2] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة ، المرجع السابق ، ص 30 .

[3] بشير كوكو حميدة ، المرجع السابق ن ص ص 209-210 .

[4] نفسه .

وبوفاة المهدي المفاجئة ألت الخلافة إلى الخليفة عبد الله التعايشي والذي لم يكن مطمئننا من جهة الاشراف ومساندته في حكم الدولة المهدية [1].

ولقد كانت أول مشكلة واجهت الخليفة عبد الله التعايشي هي مشكلة الأشراف وعلى قيادتهم الخليفة شريف الذي لم يكن راضيا في مبايعته وأنه لولا الظروف الحربية التي أحاطت بالموقف لما قبلوا بيعته[2] .

ولقد وضع الأشراف أمالهم في قريتهم محمد خالد زقل[3] عامل عموم دارفور الذي لم يستجب لأوامر المهدي وخليفته عبد الله بالهجرة من دارفور للحاق بجيش المهدي والخليفة عبد الله للإسهام في فتح الخرطوم وبقية بالفاشر إلى ما بعد سقوط الخرطوم 1885م ، ووفاة المهدي واستمر الخليفة في طلبه بالحضور بجيشه وأضحت الأسباب الداعية لحضوره المبايعة وزيارة ضريح المهدي ، وظل محمد خالد زقل متبطئا في تنفيذ الهجرة ، وراودت الخليفة عبد الله المخاوف من اعتماد الاشراف لمحمد خالد في نزاعه معهم ، فلقد كان محمد خالد زقل يقود جيشا مكونا من 1000 فارس و 30000 من المشاة و 3000 ألاف جهادية .

وفي ديسمبر 1885م أعلن محمد خالد عن اصداره في التوجه من الفاشر ، وارسل الجيش اسامة والذي كان يمشي ببط [4]، وعندما وصلت الاخبار للخليفة ما بات عليه الاشراف ، عين أحد مقربيه على جزيرة ، وقطع الاتصال بين العاصمة والغرب ، وأرسل أمين سره المدكر ابراهيم ليدبر الأمر مع حمدان عامة جبال النوبة الذي كلفه بتصفية قوة

[1] محمود محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 198 .

[2] ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص 178 .

[3]كان اميرا في عهد الحكومة التركية بدارفور وهو قريب المهدي ، للمزيد انظر : مبارك الشريف أحمد النباقي ، ادارة الحكم الثنائي لدارفور (1899 1956م) رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الخرطوم ، 2004م ، ص 50 .

[4] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 205 .

محمد خالد زقل ، وقد تمت التصفية في بارا في شهر افريل 1866م ، وارسل محمد خالد زقل أسيرا إلى العاصمة [1].

وفي الشهر التالي قام الخليفة بالاستيلاء على سلاح الخليفة ودخلوا والخليفة شريف وأمر حرسهما بحملة الراية الزرقاء ، وفي نفس الوقت بدأ الخليفة في التخلص من قواد المهدي وولائهم لأنهم من أهل البحر الذي لا يمكن الاعتماد عليهم ، وعين أقربائه البقارة في مناصبهم ، ولما اكمل الخليفة من حكمه عاما واحدا كان هناك وال واحد فقط من ولاة المهدي وهو عثمان دقته الذي لم يكن في سبيل الاستغناء عنه [2].

2- الثورات الدينية:

لقد واجه الخليفة عبد الله التعايشي بعد توليه الحكم عدة ثورات وخاصة الدينية التي باتت تشكل تهديدا كبيرا تهدد كيان الدولة المهدية عامة ، وحكم عبد الله خاصة وهذا راجع إلى الالتفاف الناس حول هذه الثورات وتصديقها ، لأنها تعتمد على العنصر الديني مثلما حدث مع الثورة المهدية ومن أبرز هذه الثورات نجد:

أ) ادعاء نبوة عيسى:

ادعى بعض المعارضين لحكم الخليفة عبد الله التعايشي نبوة عيسى ليجدوا لأنفسهم مساقا دينيا يخرجون عن طاعته، بسبب الاعتقاد بأن عودة عيسى ستكون بعد ظهور المهدي المنتظر وأغلب هؤلاء الدعاة من قبائل الفلاقة ، وقد ترك نجاح حركة المهدية الباب مفتوح أمام المدعين ليعلنوا أنفسهم لعيسى الموعود بالعودة وفكرة رجعة المسيح بعد ظهور الدجال معروفة في العالم الاسلامي[3].

[1] محمد ابراهيم وسليم ، الحركة ، المصدر السابق ، ص 43 .

[2] نفسه ، ص 44 .

[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 182 .

ففي عام 1886م ظهر في منطقة القلابات شخص يدعى أنه نبي الله عيسى المرتقب بعد المهدي، وقد وجد ادعاءه اقبالا إلى الحد الذي جعل بعض أوائل اتباع المهدي يتبعونه وقد قيل إلى يونس الركيم عامل عموم الجهة نفسه كان يميل إلى تصديقه،[1] وبعد الأنصار أمراء جيش القلابات[2] ، الذين كانوا على استعداد لغزو الحبشة فقد أمنوا برسالته مما خلق بلبلة في الجيش كادت تشعل فتنة في صفوف المجاهدين وأخيرا تدراك الأمير حمدان أبو عنجة قائد الجيش لحرب الحبشة الموقف، ورفع الأمر له خليفة عبد الله التعاوشي مما انزعج الخليفة لهذا الحدث انزعاجا واضحا[3].

فقام باستدعاء أبو عنجة صاحب الدعوة وسأله عن أمره في دعوته فأجابه بكل صراحة ووضوح وجرأته ، بادعائه بأن النبي عيسى وسأل أتباعه عن ذلك فأجابوه أنه على حق وأنه مصدقوه ومريدوه ، لما أثار غضب الخليفة عبد الله فزج بمصدقوه السجن أما البرقاوي صاحب الفكرة فأصدر فيهم أبو عنجة الحكم بالإعدام في ديسمبر 1887م كما حرر الوثائق الكثيرة لدحض الفكرة [4]، وبهذا انتهى أمر هذه الدعوة.

بمجرد انتهاء الخليفة عبد الله من مشكلة ادعاء نبوة عيسى حتى ظهرت له مشكلة أخرى أكثر خطورة وهي:

ب) ثوره أبو جميزة 1889م:

في سنه 1889م ظهر شخص آخر في جهة الغرب في دار تامة رجل فقيه يدعي أنه خليفة عثمان بن عفان وهو أبي جميزة وصرح بأنه سيفتح طريق الحج التي سدها عبد الله

[1] محمد ابراهيم ابو السليم ، الحركة ، المصدر السابق ، ص 44

[2] مدينة احتلتها مصر رسميا سنة 1862م ، ثم اضطرت إلى اخلائها سنة 1885م بسبب الثورة المهدية ، فسقطت بين المهديين واسترجته مصر سنة 1889م ، للمزيد انظر : محمد مهدي كركوري ، المرجع السابق ، ص 349 .

[3] بشير كوكو حميدة ، المرجع السابق ، ص 207 .

[4] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ص 722-723 .

في وجه أهالي الغرب [1]، وتسبب في كراهيتهم لهم خليفة عبد الله ولقد أحيط أبو جميزة بحالة من الغموض فاسمه وأصله وموطنه ، فلم يكن للناس بدراية عنه و عن أصله. ولقب بأبي جميزة لأنه كان يعقد اجتماعاته تحت شجرة الجميزة[2] ، وكتب للتعايشي في 17 نوفمبر 1888م يعلمه بظهوره فكان جواب التعايشي بتاريخ يوم 24 ديسمبر من نفس السنة بما نصه بعد البسملة: « وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي إلى الشخص المدعي خلافة عثمان بالغرب... قولك أنك خلافة عثمان فهذا أيضا تلبسك بمحاربة الله ورسوله ومهديته ومحاربتنا وإثارة الفتن... ولا يسول لك شيطانك أن تقوم بمحاربة المهدية...» [3]

فقد التف حول أبي جميزة جموع هائلة من الأهالي ونشطوا في محاولتهم تدمير دولة المهدية ، فأرسل لهم الخليفة الأمير عثمان آدم حاكم كردفان مع قوة كبيرة لحرب ومقاتلة أبي جميزة.[4]

ولما تقدم جنود أبي جميزة إلى دار تامه أوقع بقوة الخليفة هزيمة فادحة في 1888م وتراجع الأنصار إلى كبا بية حيث امده عثمان آدم بجيش جديد بقوة محمد بشارة أحد أكبر ضابطه وقدر تعداد قوة الأنصار الاجمالية 16253 جندي منهم 3094 مزودين بالأسلحة النارية 1827م من الخيالة و 11332 من المسلحين بالرماح.

وعندما خشي محمد بشارة من تذمر معنويات رجال المقاتلين إذا بقوا في كبابية تحرك نحو الغرب في 26 أكتوبر وهاجم دار المساليط، حيث أراد أن يجعلها مركزا لقيادته، و يبدوا أنه وجد صعوبة من ناحية عدم معرفة تقدير قوات أبو جميزة ومعلومات عنه بما أوقع بأبي جميزة بهجوم مباغت بمشاركة بعض القبائل في 11 نوفمبر ، وكانت هذه الهزيمة أسوء من سابقتها كما وصف عثمان آدم للخليفة.

---

[1] نفسه ، ص 720 .

[2] بشير كوكو حميدة ، المرجع السابق ، ص 208 .

[3] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 721-722 .

[4] بشير كوكو حميدة ، المرجع السابق ، ص 208 .

ولم عاد ما تبقى من الأنصار إلى كبابية وجدوا معسكر مهجورا ، إذ أن الحامية التي ترك محمد بشارة كانت قد ولت الأدبار إلى فاشرة وبهذا فقد استولى جنود أبي جميزة على ذخيرة الحملة وفي 30 نوفمبر كتب عثمان آدم إلى الخليفة أن الثورة في دارفور أصبحت عامة وأنه لابد من اعاده فتح كل الأقاليم من جديد[1].

ولقد أوشك أبي جميزة أن يفوز بدارفور لولا وفاته [2]، إثر مرضه بالجذري وانتقلت القيادة إلى أخيه اساغة، وتابع حركة أخيه على الأمير عثمان آدم وفي سنه 1889م من نفس السنة تصادم الجيشان ودارت بينهما معركة وانتهت بفوز الأنصار وقتل ساغة في ساحة المعركة.[3]

تمكن الخليفة عبد الله التعايشي أن يقمع كل الثورات التي قامت باسم الدين ، ولكن لم هذه الأخيرة هي الفتن الوحيدة، التي اعترضت حكم الخليفة فقد ظهر تمرد بعض القبائل في غربي السودان والبلاد النيلية على حد سواء ويرجع بعضها على عهد المهدي وقد سميت بالثورات القبلية.

3_الثورات القبلية:

أ) عصيان الشكرية (1886م) :

ظهرت قبيلة الشكرية كواحدة من القبائل الكبيرة التي لعبت دورا هاما في تاريخ الدولة التركية السابقة، إذ لم يقبل زعيمها الشيخ عوض الكريم البوسن المهدية إلا في وقت متأخر ولم يبايع المهدي إلا بعد سقوط الخرطوم بالإضافة إلى ذلك لم يكتف الخليفة عبد الله بمبايعة الشكرية زعيم واستسلامه[4]. وسنه 1886م أمر الخليفة عبد الله عوض الكريم البوسن، لكي يحضر برؤساء قومه إلى العاصمة ولكن لم يلبوا الطلب بل خرجوا عليه

[1] هولت ، المصدر السابق ، ص 173-174 .

[2] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة ، المصدر السابق ،ص 45 .

[3] بشير كوكو حميدة ، المرجع السابق ، ص 208 .

[4] نفسه ، ص 202 .

فقبض الخليفة على عوض الكريم وسجنه إلى أن مات وجرد حملة على الشكرية وقضى عليهم[1].

ب) ثورة الرزيقات (1886_1887م):

أول ما ثار من قبائل الرزيقات شيخ يدعى مادبو وكان الدافع المباشر لثورته هو نزوعه إلى الاستقلال عمال الخليفة واعتراضه على الهجرة إلى العاصمة.[2]

فلقد كان مادبو أحد أمراء المهدية في الغرب وقام بمحاربة سلاطين مدير دارفور والواضع أن كراهية هذه القبيلة له حكم التركي المصري ساعدت كثيرا على الاطاحة بذلك الحكم، ويتولى الخليفة عبد الله الحكم حاول مادبو التمرد والاستيلاء على البلاد الواقعة بين دارفور وبحر الغزال تزامن خبر مخطط مادبو إلى الخليفة عبد الله، فقام باستدعائه للحضور كعادة لتجديد البيعة ثم أمره للمجيء لزياره قبر المهدي، ولكن كل المحاولات المدبرة باءت بالفشل، وقد عمل الخليفة على أن يبقى الغرب في حالة استقرار.، ليتخذ منه ملجأ كلما الضرورة.

وقد أعد مادبو جيشا من رجال الرزيقات، وأعلن عصيانه للحكومة، فأهدر الخليفة دمه وسلط على الرزيقات محمد كرقساوي حاكم شكاو أخاه كرم الله عامل الخليفة على بحر الغزال وأخيرا اقتنص الأمير يوسف مادبو في نوفمبر 1886م عندما كان الأخير بين جبل مرة فأرسل كرقساوي مادبو إلى الخليفة وفي الأبيض أعدم حمدان أبو عنجة مادبو

[1] محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة ، المصدر السابق ، ص 46 .

[2] نفسه ، ص 46 .

في فيفري 1887م لعداوة قديمة بينهما ترجع جذورها إلى ما قبل المهدية وأرسل رأسه للخليفة وهكذا تخلص الخليفة عبد الله التعايشي من ثورة الرزيقات[1].

ج) ثورة البطاحين نوفمبر 1888م:

اضطر البطاحين في سنة 1888م للنهب والاستيلاء على الخيرات في منطقتهم بسبب الجوع الذي لحق بهم والتي تقع شرقي النيل الأزرق، فلما أرسل الخليفة رسله لإحضارهم إلى العاصمة قتلهم البطاحين، فكان رد فعل الخليفة بعد ما سمع بذلك بإرسال حملة قوية قتلت جل زعمائهم وأسرت أخرين وساقتهم إلى أم درمان حيث شنق بعضهم وقطعت أيدي أخرين منهم[2].

لقد كانت هذه الثورات عبارة عن انتفاضة فردية، تهدف إلى التخلص من قبضة السكة المركزية ولم يكن لها الهدف للقضاء على الدولة المهدية ولم يكن بين هذه القبائل تسيق للعمل المشترك ضد المهدية وقد استطاع الخليفة القضاء على هذه الحركات.[3]

4-الثورات الاقليمية :

أ-ثورات جبال النوبة (1885-1887م) :

كانت النوبة ضد المهدية ف عهد محمد المهدي قبل فتح الخرطوم وأرسل المهدي حمدان أبو عنجة إليهم على رأس جيش كبير في أواخر فبراير 1885م [1]، لغزو

[1] بشير كوكو، المرجع السابق ، ص ص 202 -203 .
[2] نفسه ، ص 205 .
[3] محمد محجوب مالك ، المرجع السابق ، ص 92 .

جبال النوبة ، حيث واصل أولا إلى جبال الدوري وحاول أهله الانضمام إليه و الانصياغ لأوامره ولكنهم رفضوا فأشعل النار في المنطقة وفرقهم في الأدوية والكهوف واستولى على ماشيتهم ، ثم تقدم إلى جبل كداية وسلموا له فضمهم إلى جيشه وقصد جبل تكم وهو جبل شاهق صعب المراقى فوجد أهله مستعدين لمقاتلته ، فحاربهم أياما واوقع بهم واسر منهم ومات في الاسر ، وبعدها توجه إلى جبل الكجاكجة وهو جبل مرتفع محصن طبيعيا واهله سبع طوائف على كل طائفة ملك وتوجد كلهم على قتاله فحمل عليهم وقهرهم واتخذ جبلهم ، ثم دخل بلاد الكواليب فتجمعوا له في جبل دري فحاصرهم حتى استسلموا له فاستولى على جميع ما ملكته ايديهم من مواشي وغيرها[2].

كما استولى أبو عنجة عرب الحوازمة الذين حرضوا النوبة للتكتل ضده وبحلول عام 1887م ، تمكن أبو عنجة أن يعيد الجبال إلى الخضوع والطاعة والولاءة للخليفة عبد الله [3].

ب –ثورة أبي يوسف 1888م :

بدأت ثورة الأمير يوسف بن ابراهيم سلطان دارفور السابق عندما طلب منه خالد زقل مدير دارفور أن يتولى مهام الحكم ، بينما يعود من العاصمة وكان زقل قد غادر بقواته متجها نحو أم درمان وفقا لأمر الخليفة ، ويبدو أن الأمير يوسف استمر في حكم بلاده ، وربما تذكر مجدا أجداده وغرمهم ، وأراد استعادة تلك الغزة المفقودة ، ولذلك بدأ يشعر بالضيق من ادارة كرم الله الدارة في جنوب الفاشرة وقرر يخرجها منها بأفضل الطرق أو بتالي هي اسوء ، فشكى كرم الله للخليفة عن الأمير يوسف فقرر الخليفة أن يثبته في

[1] بشير كوكو ، المرجع السابق ، ص ص 205-206 .
[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ص 708-709 .
[3] بشير كوكو ، المرجع السابق ، ص ص 205-206 .

الادارة ، ولم يكن للأمير يوسف سوى ارسال جنوده لطرد كرم الله من الادارة ، بالإضافة إلى ذلك عمل الخليفة أن دارفور قد جعلوا يوسف سلطانا عليهم ، وأنهم يشربون الخمر ويمارسون البدع ويرتكبون المنكرات ، هنا استدعى الخليفة الأمير يوسف واستخدم بعض ذكائه ، حيث طلب منه أن يأتي للتبرك بزيارة قبر المهدي وتجديد العهد ثم يعود إلى بلاده ، ولكن الحيلة لم تنطلي به الأمير يوسف ، فبدأ يبرر بعض الاسباب[1] وأن أعوانه متفرقون للحضور معهم[2].

ومالم يجد الخليفة الخطة أمر عثمان أدم بالسفر إلى دارفور بجيش جرار ، وكان يرافقه كرم الله ، وقد حققوا النصر على الأمير يوسف ودخلوا الفاشرة في حين هرب الأمير يوسف إلى جبل مرة وقام الانصار بمطاردته حتى تمكنوا من القبض عليه وقتلوه في جانفي 1888م ، وأرسلوا رأسه إلى الخليفة ، ومن ثم استعاد الخليفة عبد الله سلطانه على دارفور[3] .

بشكل عام فإن هذه الثورات فقدت الهدف المشارك مما جعل من السهل القضاء عليها تبعا .

2-الحروب الخارجية :

بعد أن تعرفنا على أبرز التحديات والصراعات الداخلية التي واجهها الخليفة عبد الله بعد توليه الحكم ، سننتقل للتعرف على أهم الحروب الخارجية التي واجهها .

[1] نفسه ، ص 206 .

[2] نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 719 .

[3] بشير كوكو ، المرجع السابق ، ص 206 .

بعد نجاحه في إحداث الاستقرار الداخلي اقتصر نشاطه على ارسال عدة خطابات إلى الخارج يدعوا فيها إلى اعتناق المهدية والالتزام بأوامرها ، مما دفعه للدخول في معارك حربية متعددة أهمها [1]:

أ-مع الحبشة 1889 م :

ترجع علاقة الحبشة بالسودان منذ عهد المهدي لأن المهدي كان يرغب في أن تصل الدعوة المهدية لكل ارتفاع العالم الاسلامي ، فتوترت العلاقة بينهما عقب مشكلة الحدود الغير واضحة المعالم ، مما افضت في دخول في صراع مسلح في المنطقة القلابات الذي جاء عقب مباركة الاحباش[2] في سحب الحاميات على الحدود .

كما أن الامير يوحنا الامبراطور الرابع أرسل خطابا للمهدي يبلغه بالدخول في المسيحية فكان رد المهدي في سنة 1883م ، ويطلب منه الدخول في الاسلام :" وإلا فإنما عليك إثمك وإثم من تبعك ولا بد من وقوعك تحت أيدينا " ، وبهذا اصبح هناك حاجز ديني بين الحبشة والمهدية وقد أصبح هذا الحاجز من العوامل الأساسية التي أثرت في مسيرة العلاقات بين البلدين[3] .

[1] اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، الحرب الحبشية السودانية (1885-1888م) ، الطراز المنقوش بشرى قتل يوحنا ملك الحبوش ، تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم ، محمد سعيد القدال ، ط 1 ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ص 11-13 .

[2] سلالتان احداهما زنجية والأخرى سامية ، وهم يدينون بالاسلام والمسيحية ويقنطون في الأقاليم الجنوبية من الجزيرة العربية والأقاليم الغربية للمزيد أنظر : عبد الله حسين ، المرجع السابق ، ص 329 .

[3] عبد القادر الكردفالي ، الحرب الحبشية ، المصدر السابق ، ص ص 10-11 .

وبعد وفاة المهدي سار الخليفة على نهجه رافقا به الجهاد ووجه أنظاره للقلابات نظرا لأهميتها الاستراتيجية فهي " ثغر حصين على حدود الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه مسدودا إلى جانب هذا تعتبر من أهم المراكز التجارية وهي بمثابة باب التجارة مع الحبشة ، ولذا كان الحافظة عليها يعود على دولة المهدية بأرباح هائلة .

فلقد كانت هذه الظروف هي التي كيفت العلاقات بينهما وأدت إلى نشوب حروب متعددة .

تطورت العلاقات بين المهدية والحبشة وبدأت بوادر الحرب بين الطرفين في عهد الخليفة [1]، وكان الخليفة عبد الله حسب التقديرات الداخلية لا يرغب في مواجهته .

والأحباش في بادي الأمر بسبب الواقع الداخلي التي تعيشها الدولة وبعد تحسن الأوضاع الداخلية عين الأمير حمدان[2] أبو عنجة عاملا على القلابات [3] ففي بادي الأمر انهزم الأنصار أمام الأنصار سنة 1887م، ولما وصل أنباء الهزيمة لأم درمان أرسل الخليفة عبد الله خطابا إلى يوحنا طالبا منه الدخول في سلك المهدية ومتهما إياه بالتعدي على الحدود، وكان الخليفة قد حذره بأن يشن عليه حربا في حالة لم يسلم إليه المأسور بين المسلمين واللأجئين الراغبين في العودة إلا أن يوحنا بالغ في الأمر، وكان رده بالتجاهل على خطاب الخليفة وتأهب للاستعداد للدخول في حرب مع هذا الاخير.

[1] نفسه : ص ص 12-13 .

[2] حمدان أبو عنجة: أمير الأمراء ولد في 1835م واشترك في حروبات الزبير باشا والرزيقات انضم إلى حركة المهدي في قدير لعب دورا حاسما في موقعة شيكان كما تولى القيادة في الجبهة عاملا على القلابات.، المصدر نفسه، ص42

[3] مكي شبيكة السودان، المصدر السابق، ص407.

وبعد وصول الأمير يونس الدكيم[1] ما فهمناه الذي كان يعمل في الجزيرة ليواجه الحبشة بعد أن طلب منه الخليفة، ذلك دخل في مناوشات مع الأحباش بالتعاون مع حمدان الذي قاد مجموعة من أتباعه ودخل بهم إلى الحبشة، كما دخل منطقة قندور في 1888م وحقق بذلك انتصارا عظيما على الأحباش. [2]

وعقب هذه الهزيمة التي لحقت بالأحباش جهز الأمير يوحنا جيشه واستعداداته إذ لم يعهد مثله في مملكة الحبشة وزحف به إلى القلابات ، ولما علم الزاكي طمل الذي عينه الخليفة على راية قيادة الجيش في القلابات بعد وفاة حمدان إثر حمى أصابته في 29 جانفي بقرب يوحنا استعد وجهز جيشه لملاقاته وبقرب يوحنا ثار الغبار من جهتهم حتى سد الأفق، ولما وصلوا حاصروا الأنصار وشرعوا بضربهم بمختلف الأسلحة النارية والمدافع أما الأنصار بقوا على الثبات منتظرين أوامر من الزاكي وما لبثوا حتى أذن لهم بالقتال ، وبادروا باطلاق الرصاص وأمطروهم بسحائب الرصاص واشتد القتال فيما بينهم واستمر مقدار خمس ساعات من الزمن حتى انتهت بمقتل ملك الأحباش وولى أتباعه مهزومين اقبح من هزيمة وغنم الزاكي من الأسلحة ما يفوق السبعة عشر ألف وسجل بذلك الزاكي انتصارا كبيرا [3]وتولى الملك منليك عرش الحبشة.[4]

ب) مع مصر: 2 أوت 1889م

سار الخليفة عبد الله على نهج المهدي في علاقاته مع الدول المجاورة ، من بينها مصر فبعد تخلصه من الحرب الحبشية وجه أنصاره نحو مصر ،التي كان المهديون دائما

[1] يونس الدكيم: هو من قبيلة التعايشية وابن عم الخليفة عبد الله انضم إلى المهدي في قدير سنة 1881م، لمع اسمه في عهد الخليفة عبد الله وعهد إليه ولاية الجزيرة... أنظر اسماعيل عبد القادر الكردفاشي، الحرب الحبشية، المصدر السابق، ص42

[2] نفسه، ص14 .

[3] اسماعيل عبد القادر الكردفاشي، الحرب الحبشية، المصدر السابق، ص ص 98_ 102

[4] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، المصدر السابق، ص329

يرددون استعدادهم لغزو مصر ففي بادي الأمر وجه منشورا إلى أحبابه في الله أهالي الريف والجهات البحرية كافة يدعوكم للخضوع للمهدية والائتمار بأوامرها قائلا لهم:« واعلموا أنه ما ما حملني على نصحكم ولا دعاني إلى بسط العنان في عظتكم إلا مزيد الشفقة عليكم...» [1]

كما وجه للخديوي توفيق جاء فيه «... واعلم ما عودناك إليه هو الدين الحق القويم والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه ... لكن من القصد كما يعلم الله إلا إحياء السنة المحمدية والطريقة النبوية...» [2]

وبعد انذار حكام مصر تحركت القوات السودانية تحت قيادة النجومي في ماي 1889م قاصدة الحدود المصرية، ولكنه هزم وارتد إلى الداخل في انتظار الامدادات الجديدة، وبوصولها تحركت قواته بسرعة نحو الحدود المصرية وكانت الحكومة الانجليزية قد علقت السير فرنسيس جرنفيل سردار الجيش المصري بمباشرة الدفاع عن حدود مصر الجنوبية، وكان تحت لوائه ما يزيد عن 3500 جندي من مصريين وسودانيين وانجليز ويعاونه في قيادة الحملة كتشز باشا والقائد مقام ونجت بك.

تقابل الطرفان المصري والسوداني في بلده طوشكى وتعرض أنصار الخليفة لهزيمة قاسية وقتل قائدا الحملة النجومي ومعه حوالي 1200 من جنوده وأسر 4000 أخرين، وبسبب هذه الهزيمة تراجعت قوات التعايشي،[3] فكانت هزيمة طوشكى حافز للحكومة

[1] مكي شبيكة، السودان، المصدر السابق، ص402

[2] المصدر نفسه، ص403

[3] محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص378

المصرية إلى محاربة الثوار في السودان ولا إثرها أظهر الجيش المصري شجاعته وبسالته أمام أنظار حكومته. [1]

وفي السنة نفسها ساءت حالة السودان وانتشرت مجاعة كبيرة وانتشرت الأمراض وأضحى الخليفة التعايشي محاطا بالأعداء من كل جانب وكان هذا من علامات زوال كيان المهدية في عهد التعايشي. [2]

[1] عبد الراحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص 135_138

[2] نفسه، ص138.

خاتمة

خاتمة:

من خلال راستنا لموضوع الثورة المهدية ببلاد السودان خلال فترة (1881-1890م) ، وما تطرقنا له من احداث ووقائع وما عرضناه من محطات تاريخية التي مرت بها الثورة طيلة هذه الفترة ، فقد توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات نوردها في النقاط التالية :

-لم يكن تواجد محمد علي باشا في السودان مجرد صدفة أو تعاطف مع السودانيين بل كان له أهداف من وجود خلاف بين محمد علي والدولة العثمانية إلا أن السودان لم يتم فتحه إلا بعد موافقة السلطان العثماني على ذلك ، وهذا ما يشير إلى عظمة هذه الامبراطورية وقوتها حتى في أيام إنهيارها .

-تمكنه من تحقيق أهدافه بفتحه للسودان وتوسيع من نفوذ، وعلى الرغم من ذلك لم تجعله يتجاهل السودان بل عمل كل ما بوسعه للإصلاح ادارتها ويتمثل ذلك في تعيين حكام جانب ومحلين لإدارة شؤونها ، إضافة إلى ذلك استغل مختلف الموارد الاقتصادية بعد أن أصلح اقتصادها وجعل منه اقتصاد قوي فأصبحت بمثابة مقاطعة من مقاطعات مصر .

-تاريخيا تعتبر منطقة السودان الغربي منطقة زائدة في نشر الحضارة الاسلامية ، منذ فترة مبكرة وخاصة في ظل توغل الطرق الصوفية وانتشارها داخل السودان ، فقد كان الشعب السوداني عامة مجتمعا دينيا بدرجة الاولى مما أعرب ولائه وإتباعه لهذه الطرق على اختلاف روئها تحت تأثير مشايخها الذين فرضوا أنفسهم على الناس في نشر الاسلام وترسيخ مبادئه ، والوقوف أمام جميع التحديات ، مما لعبت دورا في تنظيم حركة الجهاد ومحاربة الدخيل الاجنبي .

-نظرا لطول فترة الحكم المصري السوداني ، فقد شاعت عدة تسميات له ، عرفت السودان المصري ، السودان التركي ، الفتح المصري ، مما لم تلق بالمجتمع السوداني ، وكذا تدهور الاوضاع في جميع الاصعدة ،وهذا ما أثار غضب الأهالي وفي رحاب هذه

الاوضاع ظهرت شخصية صوفية بارزة متأثرة بالتصوف منذ صباه يدعي محمد أحمد فقط لامس نفسه معاناة شعبه من الحكم الجديد فأراد أن يأخذ بيدهم لتخليصهم من هذه المظالم طيلة هذه الفترة بادعائه أنه المهدي المنتظر .

-ظل الواقع الاجتماعي لجمهور السودانيين في الفترة ما قبل 1881م ، يبشر بالثورة والتي حمل لوائها محمد المهدي بعد أن بنى مهديته على المنحنى الصوفي ، ونشر أفكاره والدفاع عنها وجمع الناس من حوله مما افضى بذلك تطور الفكر من الناحية النظرية إلى الثورة ثورة ضد الحكومة المصرية التركية .

-للثورة المهدية جذور تاريخية دينية حددت أهدافها في إصلاح العقيدة الإسلامية وتمكين البلاد من النفوذ الإنجليزي وأنها تخلوا من أي غرض سياسي كما أن حركة المهدي حركة تقدمية وجدت ملايين السودانيين للكفاح من أجل الاستقلال تحت ضغط الثورة .

-تراجع النظام التركي المصري خلال المرحلة الأولى من الثورة وبدأ في الانهيار التدريجي بفعل قوة الثورة وخطابات المهدي ومنشوراته التي أثارت في نفوس السودانيين الحماس والهبت مشاعرهم .

ايضا انتفاعهم بما كانوا يعرفونه عن مواقع بلادهم وتعودهم على الاحوال الجوية وموالات الظروف الاجتماعية والدينية مواتية للحركة المهدي ، وهذا ما سعدها على انتشارها وتحقيق انتصارات في مرحلتها الأولى .

-نجا الثورة أظهر مدى القدرة التي امتدت بها الطوائف الدينية ورجالات التصوف ومن باب اخر تعتبر الثورة لمهدية بمثابة نقطة تحول في تاريخ السودان وتاريخ وادي النيل وتاريخ القارة الافريقية وبخاصة في ذلك الوقت التي اندفعت فيه التسلطات الاستعمارية الاوربية إلى افريقيا .

–بعد سيطرة المهدي على كامل التراب السوداني لم تطل حياته فقد وافته المنية ، فالثورة التي انفجرت فجر الجمعة شهر يونيو 1881متوجت بالنصر يوم الجمعة يناير عام 1885م ، وبداية مرحلة جديدة في مسارها أخر بعد خلافة القائد عبد الله التعايشي ومن هنا بدأت تأخذ منعطفا وتراجع مسير لثورة .

الأعراف والقبائل التي انظمت تحت راية المهدي ظلت تتأثر بشكل كبير بشخصية المهدي ، وهذا ما جعل الخليفة يواجه العديد من الصعوبات التي لم يواجهها في حياته ، فبمجرد أن أصبح عبد الله التعايشي خليفة المهدي ، بدأت تظهر العديد من المشاكل الداخلية والخارجية ، فحاول جاهدا على هدم الزعمات القبلية وتحويل الولاء القبلي إلى ولاء ديني واعتبر زعماء القبائل عقبة كأدات في سبيل تنفيذ هذا الموقف .

–على الرغم من التحديات نجح الخليفة على المستوى الداخلي وضع حد لهذه المواقف وتعزيز أهمية الجهاد واحداث توازن بين القبائل ، وأن كان ذلك فقد كلفه وكلف البلاد الكثير من الضحايا ، أما على المستوى الخارجي فلم يتمكن في حروبه التغلب على

اعدائه وحماية حدود دولته ، وبهذا لم تظل الحركة المهدية فتية ، كما بدأت بل أخذت الشيخوخة تبادر إليها في وقت قصير بعد تولية عبد الله الخلافة وتوليه مسيرة الثورة من 1885إلى 1890 م .

ملاحق

الملحق رقم 1 : خريطة السودان [1]

[1] شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ، ص 62

الملحق رقم 2 حكام السودان[1]

حكام السودان الى قيام الثورة المهدية

	الاسم	تاريخ التعيين		ملاحظات
١	عثمان بك	جمادي الآخرة ١٢٣٩	فبراير ١٨٢٣	
٢	محو بك	شوال ١٢٤٠	مايو ١٨٢٥	
٣	علي خورشيد باشا	جمادي الآخرة ١٢٤١	يناير ١٨٢٦	اول من تلقب بحكمدار
٤	احمد باشا ابو ودان	صفر ١٢٥٤	ابريل ١٨٣٨	
٥	أحمد باشا المنكلي	شوال ١٢٥٦	اكتوبر ١٨٤٣	منظم
٦	خالد باشا	الحجة ١٢٦١	ديسمبر ١٨٤٥	
٧	عبد اللطيف باشا	الحجة ١٢٦٥	اكتوبر ١٨٤٩	
٨	رستم باشا	ربيع الاول ١٢٦٨	ديسمبر ١٨٥١	
٩	اسماعيل باشا حقي ابوجبل	رمضان ١٢٦٨	يونيه ١٧٥٢	
١٠	سليم باشا صائب	رجب ١٢٦٩	ابريل ١٨٥٣	
١١	علي باشا سري	جمادي الآخرة ١٢٧٠	مارس ١٨٥٤	
١٢	علي باشا جركس	ربيع الآخر ١٢٧١	ديسمبر ١٨٥٤	
١٣	الامير محمد عبد الحليم	ربيع الاول ١٢٧٢	نوفمبر ١٨٥٥	
١٤	اراكيل بك	جمادي الاولى ١٢٧٣	يناير ١٨٥٧	مديرون للخرطوم حقبة لامركزية سعيد
١٥	حسن بك سلامة	رجب ١٢٧٥	فبراير ١٨٥٩	
١٦	محمد بك راسخ	الحجة ١٢٧٧	يونيه ١٨٦١	
١٧	موسى باشا حمدي	العقدة ١٢٧٨	مايو ١٨٦٢	
١٨	جعفر باشا صادق	محرم ١٢٨٢	مايو ١٨٦٥	
١٩	جعفر باشا مظهر	شعبان ١٢٨٢	ديسمبر ١٨٦٥	
٢٠	ممتاز باشا	رجب ١٢٧٨	سبتمبر ١٨٧١	مدير عموم قبلي السودان
٢١	اسماعيل باشا ايوب	شوال ١٢٩٠	نوفمبر ١٨٧٣	مدير عموم ثم صار حكمدارا
٢٢	غوردون باشا	صفر ١٢٩٤	فبراير ١٨٧٧	
٢٣	محمد رؤوف باشا	١٢٩٧	يناير ١٨٨٠	

[1] مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص 249 .

الملحق رقم 3 الامام المهدي[1]

الإمام محمد أحمد المهدي

بريشة الرسام الفرنسي الشهير جورج موندبارد

[1] محمد المصطفى موسي ، المرجع السابق ، ص 33 .

الملحق رقم 4 معاهدة الرقيق [1].

معاهدة الرقيق مع بريطانيا العظمى في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٧

لما كان من أقصى أمال كل من حكومتى جناب ملكة بريطانيا العظمى وايرلندة المتحدة وحضرة خديوى مصر التعاون في إبطال ومنع الرقيق بالكلية وكاناقد صمما على عقد معاهدة للوصول لهذا الغرض حصل الرضا والاتفاق بين الواضعين إمضاءهم أدناه المأذونين بهذا الشأن على تدوين البنود الاتية وهى :

بند ١/

حيث أنه سابق صدور لائحة من الحكومة الخديوية بمنع بيع الرقيق السوداني والحبشي في الجهات التابعة لها فتتعهد الحكومة المشار اليها بأن تمنع منعا كليا من الآن فصاعدا إدخال العبيد السودانيين والحبشيين بأراضى القطر المصرى وملحقاته سواء كان بطريق البر أو البحور المارة من تلك الأراضى وأن تعاقب بأشد الجزاء على مقتضى القوانين المصرية الجارى العمل بها أو بموجب ما سيأتى بيانه بهذه المعاهدة كل من وجد متعاطيا بيع الرقيق السوداني أو الحبشى مباشرة أو بواسطة الغير ، وكذلك تتعهد بأن تمنع اخراج الرقيق السودانى أو الحبشى الى خارج القطر المصرى وملحقاته منعا مطلقا ما لم تحقق وتثبت صحة عتقه أو حريته ولا بد أن يذكر بورقة العتق أو بالباسبور الذى يعطى لأولئك السودانين أو الحبشيين من طرف الحكومة المصرية قبل خروجهم بأنهم أحرار ويمكنهم أن يتولوا أمر انفسهم كيف شاءوا بلا قيد أو شرط ما .

[1] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ، ص 422 .

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر :

1-ابراهيم فوزي باشا ، السودان بين يدي غوردون وكتشر ، ج 2 ، طبع على نفقة مؤلفه ، ادارة جريدة المؤيد ، الخرطوم ، السودان ، 1319هـ

2-أبو سليم محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ط3 ، دار جامعة الخرطوم ، السودان ، 1989م .

3-اسماعيل عزالدين ، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، 1998م .

4-الرافعي عبد الرحمان ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال -تاريخ مصر القومي – من سنة (1882-1892 م) ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1984م .

5-الفكي الفحل الطاهر ، تاريخ اصول العرب بالسودان ، ب د ن ، الخرطوم ، السودان ، 1971م .

6-الكردفاني اسماعيل عبد القادر ، سعادة المشهدي بسيرة الامام المهدي ، ط 2 ، 1982م .

7-المقدم محمد بن اسماعيل المهدي ، ط1 ، الدار العالمية للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، 2002م .

8-تشرشل ونستون ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، تر ، عز الدين محمود ، دار الشروق ، مصر ، 2006 م .

9-ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ مضطرب ومستقبل غامض ، ط1 ، مكتبة التمدن ، بيروت ، 2009 م .

10-سيرجي سمرنوف ، دولة المهدية من جهة نظر مؤرخ سوفياتي ، تر هنري ، ط1 ، رياض ، دار الجيل ، لبنان ، 1994م .

11-شبكة مكي ، السودان عبر قرون ، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان ، 1991م .

12- شبيكة مكي ، تاريخ شعوب وداي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

13-شقير نعوم ، تاريخ السودان ، تح ، محمد ابراهيم ابو سليم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1981م .

14-علي ابراهيم عبد الله ، الصراع بين المهدي والعلماء ، دار نوبا للطباعة ، الخرطوم ، السودان ، 1994م .

15- الكردفاني اسماعيل عبد القادر الحرب الحبشية السودانية (1885-1888م) الطراز المنقوش بشرى قتل يوحنا ملك الحبوش ، ط 1 ، 1991م .

16 -هولت ب ع ، المهدية في السودان ، تر ، جميل عبيد ، احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1987م .

2/ المراجع :

1-ابراهيم عبد الله عبد الرزاق والجمل شوقي ، تاريخ غلرب افريقيا الحديث والمعاصر ، مكتبة الاسنكدرية ، القاهرة ، 1998م .

2-أبو سليم محمد ابراهيم ، بحوث في تاريخ السودان (الاراضي ، العلماء ، الخلافة ، بربر علي الميزغي) ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1992م .

3-بانقا السني ، أضواء النظام القبلي والادارة في السودان ، مطبعة الحكومة ، الخرطوم ، السودان ، 1960م .

4-بركات داود ، السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية ، مؤسسة هنداوي ، 2013م .

5-بشير محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969م) ، نقله هنري رياض وآخرون ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، السودان ، 1980م .

6-بيومي محمد المهدي ، المنتظر وأعياء المهدية ، ط1 ، مكتبة الايمان بالمصورة ، امام جامعة الازهر ، مصر ، 1995 م .

7-حامد محمد المصطفى موسى عبد الله ، الأصداء العالمية للثورة المهدية ،ط1 ، دار المصورات ، الخرطوم ، غرب السودان ، 2020م .

8-حسن حمد نا اله مصطفى ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1831-1881م) ، دار العارف ، القاهرة ، 1985 .

9-حسن محمد نبيلة ، في تاريخ افريقية الاسلامية انتشار الاسلام في السودان الغربي من القرن 5 حتى القرن 9 هـ ، دار المعرفة الجامعية ، 2007 م .

10-حسن محمد نبيلة ، في تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار المعرفة الجامعية.

11-حسين يوسف ، الدين والسياسة في السودان ، ط1 ، دار امام ، جامعة الأزهر ، مصر ، 1995م .

12-الدوري تقي الدين الدجيلي خولة شاكر ، تاريخ المسلمين في افريقية ، ط1 ، دار الكتب الوطنية ابو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، 2014م .

13-رياض زاهر ، السودان منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (1821-1953م) ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1966 م .

14-شاكر محمود ، السودان ، ط1 ، المكتب الاسلمي ، بيروت ، لبنان ، 1981م .

15-الشامي صلاح الدين علي ، السودان دراسة جغرافية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2002م .

16-شلبي عبد الودود ، الاصول الفكرية لحركة المهدية السوداني ودعوته ، ط2 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، 2001م .

17-شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، ج3 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1928م .

18-ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث ، ط4 ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1968م .

19-ضيف شوقي ، عصر الدول والامارات (الجزائر -المغرب الاقصى -موريتانيا - السودان) ، ط1 ، دار العارف كورنيش ، النيل ، القاهرة ، 1119م .

20–طبلية القطب محمد القطب ، الحكومة المحلية في السودان ، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العالمية ، 1970م .

21–طوسن عمر ، تاريخ مديزية خط الاستواء المصرية (1889–1869م)، ج 1 ، مطبعة العدل ، الاسكندرية ، 1937م .

22–عابدين عبد المجيد ، تاريخ الثقافة العربية ، السودان من نشأتها إلى العصر الحديث (الدين –الاجتماع –الادب) ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1953–1967م .

23–عبد الفتاح عبد الصمد منصور ، العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي (1899–1942م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1994م .

24–عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ج 1 ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ،2012 .

25–عمارة محمد ، الاسلام والثورة ، ط3 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1988م.

26–عمر عمر ، السودان تاريخ مضطرب ومستقبل غامض ، ط1 ، مكتبة التمدن ، بيروت ، 2009م .

27–الفلاتتي محمد الطيب عبد الرحيم ، الفلاتة وشمال السودان (الفلاتة ، الهوسا ، البرنو ، الانصار) الفلانة وشمال السودان ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 1994م .

28–القدال محمد سعيد، الامام المهدي أحمد بن عبد الله (1844–1885م) ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992 م .

29–كركوكي محمد مهدي ، رحلة مصر والسودان ، دار العارف ، مصر ، 1914م .

30–مالك محمد محجوب ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881–1898 م)، دار الجيل ، بيروت ، 1987م .

31–المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح ، احسان خفي ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981م .

32–ونجت الميجر أ.ر ، المهدية والسودان المعاصر ، تر ، عبد الكريم محمد المصطفى حسن ، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم ، السودان ، 1891م .

33–ياغي اسماعيل أحمد ، تاريخ العالم العربي المعاصر ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، 2000 م .

34يحي جلال ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ، مصر ، 1988 م .

3/ المجلات :

1–بابكور سالم، " أوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي– الجمعية التاريخية السعودية بحوث تاريخية " ، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية ، ع 154 ، السعودية ، 2000 م .

2–زناتي عامر،" محمد أحمد المهدي " ، سيرة ومسيرة (1844–1881م) ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ، مج 5 ، ع 9 ، جامعة غرداية ، 2020م .

3–صالح كراري علي ،" السنوسية والمهدية "–دراسة فكرية للحركتين ، مجلة الدراسات السودانية ، ع 2 ، 1979م ، جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية .

4–لعماري مرزقلال ، "الوضع الاقتصادي في السودان في ظل النظم المصرية "، المجلة الجزائرية لدراسات التاريخية والقانونية ، ع 4 ، الجزائر ، 2017.

5-وداعة عثمان عادل علي ، " المنطلقات السياسية والدينية المعارضة في عهد الخليفة عبد الله (1885-1898م) ، مجلة النيل الابيض لدراسات والبحث ، ع 18 ، جامعة سنار 2021 .

4/ الموسوعات :

1-عجيل أمل ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية أدبية ليبيا والسودان والغرب ، ج 19-20 ، دار بيروت ، لبنان ، 1999م .

2-محاسيس نجاة سليم محمود ، معجم المعاجم التاريخية معارك ، غزوات ، حروب ، ثورات وقعات ايام فتوحات ، مذابيح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ ، ط1 ، دار زاهر للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011م .

5/ الرسائل الجامعية :

1-جنيدي عبد الحميد ، السياسة الاستعمارية البريطانية في السودان (1881-158م) ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2015-2016م .

2-مشايك يحي محمد لمين ، قضية دارفور وابعادها الاقليمية والدولية ، رسالة ماجيستر ، قسم العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، الجزائر ، 2013-2015م .

فهرس

المحتويات

مقدمة .....(1-**6**)

المدخل :لمحة عامة عن تاريخ بلاد السودان .....(8- 31)

الفصل الأول : التعريف بشخصية محمد أحمد المهدي :.....(33- 58)

المبحث الأول : التنشئة الاجتماعية والتعليمية لمحمد أحمد المهدي .....(33)

1-التنشئة والبيئة .....(33)

2-التنشئة الاجتماعية والتعليمية .....(34)

3-ثقافته الدينية .....(38)

4-إتجاهات ثقافة المهدي .....(39)

المبحث الثاني : الدعوة المهدية وتأثيرها على محمد أحمد المهدي .....(41)

1-شيوخه في التصوف .....(41)

2-المهدية النشأة والتاريخ .....(46)

3-محمد أحمد مهديا .....(50)

4-دعوته .....(54)

أ-المرحلة السرية .....(54)

ب-المرحلة الجهرية.....(56)

الفصل الثاني :

الثورة المهدية بزعامة "محمد المهدي" (1881-1885م).....(60-97)

المبحث الأول :

الثورة المهدية في مرحلتها الأولى(1881-1885م).....(60)

1-عوامل ظروف قيام الثورة.....(60)

2- مراحل ونتائج الثورة.....(68)

3- عوامل نجاحها.....(73)

4- مصير قائدها.....(74)

المبحث الثاني : امتداد الثورة المهدية في مرحلتها الثانية (1885-1890م)

بقيادة عبد الله التعايشي .....(75)

1-التنشئة الاجتماعية :.....(75)

2-مكانته في الدولة المهدية.....(79)

3- مبايعته و توليته الحكم .....(81)

4-حروبه .....(83)

أ -الداخلية ..... (84)

ب -الخارجية .....(93)

خاتمة :.....(99)

قائمة الملاحق :.....(103)

قائمة المصادر والمراجع :.....(108)

فهرس المحتويات :.....(116)

الملخص :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أسباب الثورة المهدية ببلاد السودان ونتائجها خلال فترة (1881–1890م) ، حيث تناولنا في هذه الورقة البحثية عدة نقاط أولهما الأوضاع العامة قبيل اندلاع الثورة بزعامة شخصية دينية بارزة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر والذي استطاع قيادة الثورة في مرحلتها الأولى في الفترة الممتدة من (1881–1885م) .

تحدثنا أيضا على امتداد الثورة في مرحلتها الثانية بقيادة عبد الله التعايشي خليفة المهدي.

الكلمات المفتاحية :

الثورة المهدية – محمد أحمد المهدي –السودان – 1881م– الخليفة .

الملخص بالإنجليزية: **Abstract**

This study aimed to identify the causes of the Mahdist revolution in Sudan and its results during the period (1881-1890 AD). In this research paper, we discussed several points, the first of which is the general conditions prior to the outbreak of the revolution led by a prominent religious figure in the modern and contemporary history of Sudan who was able to lead the revolution in its first phase. During the period extending from (1881-1885 AD).

We also talked about the course of the revolution in its second phase, led by Abdullah Al-Taayshi, Caliph Al-Mahdi.

key words :

The Mahdist Revolution - Muhammad Ahmad Al Mahdi - Sudan - 1881 AD - Caliph.

تم بحمد الله